
الكون
يشهد لله بصفاته
هالة أحمد فؤاد

إهداءات ٢٠٠٣
هالة احمد فؤاد
القاهرة

الكـــون
يشهد لله بصفاته



- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة ، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى العربى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل .
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافى والعلمى مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات ، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب ، ونشره وتوزيعه .
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه .
- الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية .



رئيس المركز

على عبد الحميد

مدير المركز

محمود عبد الحميد

مركز الحضارة العربية

٤ ش العلمين - عمارات الأوقاف

ميدان الكيت كات - القاهرة

تليفاكس : 3448368 (00202)

E.mail. alhdara_alarabia@yahoo com
alhdara_alarabia@hotmail com

هالة أحمد فؤاد

الكون يشهد لله بصفاته



الكتاب : الكون يشهد لله بصفاته

الكاتب : هالة أحمد فؤاد

الناشر : مركز الحضارة العربية

الطبعة العربية الأولى : القاهرة ٢٠٠٣

رقم الإيداع : ٢٠٠٣/٨١٠٣
الترقيم الدولى : I S.B.N 977-291-457-3

الغلاف
تصميم وجرافيك : ناهد عبد الفتاح

الجمع والصف الالكترونى :
وحدة الكمبيوتر بالمركز
تصحيح : زكريا منتصر

إهداء

إليك يا أبى أهدى أول كتاب ؛

* لأنك أول من غرس فىَّ حب الله فلا يزال صوت ترتيلك للقرآن مسموعًا فى أذنى .

* وأنت أول من علمنى تقوى الله فلاتزال صورتك حاضرة فى ذاكرتى وأنت تستيقظ لصلاة الفجر خوفًا من الله وطمعًا فى رحمته .

* وأنت أول من علمنى حب دين الله فمكتبتك العامرة بالكتب الدينيه شاهدة على ذلك .

فشكرًا لك يا أبى

ابنتك
هالة



مقدمة

يقول الشيخ الغزالي رحمه الله : لا سبيل إلى معرفة الله عن طريق التأمل في ذاته ؛ فإن الوسائل معدومة ، وإنما طريق التعرف على الله تعالى يبدأ من التأمل في خلقه ، وعن طريق التفكير السليم في الحياة والأحياء ، وباستخلاص المعارف القيمة الخارجة من الأرض أو النازلة من السماء ، **﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** [الروم : ٥٠]

فالعبودية لله عز وجل تقتضي توحيده جل وعلا ولا يتحقق التوحيد إلا بتمام معرفته سبحانه ، ومعرفة الله تعالى تتأتى من دوام النظر والتأمل في بديع صنعه سبحانه في ملكوته ؛ فملكوت الله يشهد بصفات خالقه عز وجل .

ولن نقول كما يبالغ البعض فيقولون بأن الله تعالى موجود في كل مكان فالله سبحانه وتعالى هو رب العرش العظيم في السماء فهو العلي الأعلى ؛ بل نقول بأننا نرى صفات الله سبحانه في كونه فهو الواحد الأحد بديع السموات والأرض رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما مدبر الأمر كله المحيي المميت الحي القيوم .. هو القريب سميع الدعاء .. البصير .

فتذكر دائمًا أول آية أنزلت في كتاب الله **﴿اقرأ باسم ربك﴾** واقرأ آيات الله في كونه ، اقرأ وتأمل ، اقرأ مستعينًا بربك الذي خلق .. اقرأ وأخلص النية لله لترى ما لا يراه غيرك

فإدامة المرء النظر والتأمل في الكون بهذا القصد ؛ فإن هذا يدخله

فى عباد الرحمن الذين وصفهم الله تعالى فى قوله : ﴿ **أولئك على هدى من ربهم** ﴾ ، فمن سلك طريقاً يبحث فيه عن الله أعانه الله عليه ووفقه .

ولنتذكر قصة سلمان الفارسى ذلك الفتى المترف ابن ملك من ملوك الفرس الذين كانوا يعبدون النار من دون الله تعالى ؛ كم ترك من جاه ومال وسلطان وهاجر إلى بقاع عدة فى الأرض يبحث فيها عن الله ، عن ربه . . فكان على هدى من ربه يتنقل من بلد إلى بلد يتتلمذ على يدى عابد هنا وهناك ؛ حتى سمع أنه قد حان قدوم نبى آخر الزمان ؛ فذهب يبحث عنه ، وارتضى أن يباع ويكون من العبيد حتى يصل إلى النبى الكريم ﷺ ، وحين رآه عرفه مما وصف له ومن خاتم النبوة ؛ فصدقه وأخلص لله تعالى وأصبح صحابياً جليلاً .

وأصدقكم القول فإننى وفى أثناء بحثى وإعدادى للكتاب ؛ كلما كنت أبحث عن موضوع لتناوله ؛ كانت تتراءى لى آفاق جديدة لمواضيع عدة ، والفضل فى هذا أنسبه لله تعالى وحده ولا أنسبه لنفسى وما كان من زلل أو خطأ فمن نفسى أسأل الله تعالى الغفران ؛ والهداية والثبات ، وأسأله من فضله العظيم أن ينفع بهذا الكتاب كل من يقرؤه وأسأل كل قارئ ألا يبخل بما اكتسب من علم فى هذا الكتاب على غيره . . . و أسألكم الدعاء .

وصلى الله على سيدنا محمد ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

هالة أحمد فؤاد

الله

هو الله .. الإله المعبود .. ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هى صفات الكمال .. الله الذى له الأسماء الحسنى والصفات العلى .. فكل آية فى الكون تبدأ بالله وتنتهى إليه .. فبالله الرحمن الرحيم نحيا .. وبالله الرزاق نعيش ونرزق .. وبالله العدل يسترد المظلوم حقه .. وبالله التواب نتوب إليه ونستغفره .. وبالله العليم نترقى فى العلم والمعرفة ..

هو الله.. خلق الأزواج كلها، وتعالى هو سبحانه عن الأمثال والأشباه، فهو ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ [الشورى. ١١] .

هو الله .. المتفرد بهذا الاسم ، يقول تعالى ﴿**رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا**﴾ [مريم : ٦٥]، أى ليس له سبحانه مثل أو شبيه.. ليس لأحد أن يسمى الله أو الرحمن غيره هو تبارك وتعالى وتقدس اسمه لأنه الفرد الصمد الذى لا نظير له .

هو الله .. هل تعلم له سميا ؟ .. وهنا تحضرنى واقعة - شاهدتها على إحدى المحطات الفضائية الأجنبية - لأحد لاعبى الحركات البهلوانية في الستينيات من القرن الماضى ، وقد كان يقود فريقًا يمشى على حبل عالى الارتفاع ، وكانوا فى ثلاثة صفوف بعضها فوق بعض ويجلس هو على كرسى فى القمة ، ولقد لفتت انتباهى جملة قالها أحد الذين عاصروا هذا الرجل وكان من أصدقائه المقربين، قال إنهم كانوا يلقبونه بـ"الله" - وحاشاه ذلك - هل تدرون ماذا حدث له ؟ لقد انقلب على وجهه من فوق كرسيه فاقدًا حياته جزاء لتكبره على الله ،

فسبحان الله ، وهذا إنما يدل على أن كلاً منا يعرف الله ، يقول تعالى: ﴿ **ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون** ﴾ [الزخرف: ٨٧] ، يقول الشيخ الشعراوى رحمه الله في كتابه «القضاء والقدر»: لأنه سبحانه أوجد فطرة الإيمان في نفوسنا .. بحيث أصبحنا بالفطرة مؤمنين بالله الخالق العظيم .. وكانت هذه الشهادة حتى لا نأتي مجادلين يوم القيامة .. ولذلك أصبح كل منا إذا ذكر أمامه اسم الله .. وجد في نفسه إلفًا وفهمًا .. مع أن الله تعالى غيب عنا .. ولكن فطرة الإيمان وضعها فينا قبل أن نأتي إلى الحياة الدنيا فقال عز من قائل :

﴿ **وإذ أخذ ربك من بنيّ آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين* أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون** ﴾ [الأعراف: ١٧٢، ١٧٣].

فكل من الكافر والمؤمن يعرف الله تعالى بفطرة الإيمان فيه ، يقول تعالى: ﴿ **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون** ﴾ [العنكبوت: ٦١].

و يقول جل وعلا: ﴿ **ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون** ﴾ [العنكبوت: ٦٣] .

و يقول سبحانه: ﴿ **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل أفرءيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون** ﴾ [الزمر: ٣٨].

هو الله .. نقول: الله. أمام كل جميل وجليل .. ولذلك أدعوكم لتأمل هذه الصور الحقيقية ولا شيء يمكن أن يقال سوى: سبحان الله !

الخالق الواحد

الوحدانية لله عز وجل تعنى انفراده من الأشياء وقيل هو المنقطع عن القرين .. فهو الواحد الذى ليس كمثله شيء..، ولقد فسر لنا علماؤنا الأفاضل الفرق في المعنى بين اسمي الواحد والأحد فيقول البيهقى رحمه الله إن الواحد هو الفرد الذى لم يزل وحده بلا شريك أما الأحد فهو الذى لا شبيه له ولا نظير.

وسوف نتحدث اليوم إن شاء الله تعالى عن صفتي الله الخالق الواحد ولقد آثرت أن أجمع بين صفتي الخالق والواحد لأن دلائل القدرة الإلهية العظيمة فى خلق هذا الكون تشهد له بالوحدانية وسوف نشير بإيجاز إلى بعض هذه الدلائل فنقول إن:

* الكون كله مبنى على نفس الوتيرة من أدق دقائقه إلى أكبر وحداته وبانضباط شديد.

* الطواف بالكعبة المشرفة وهو أحد أهم أركان الحج والعمرة عندما نتأمله نجد أن الطواف هو سنة الله في الكون فنجد مثلا أن ذرات جزيئات جميع العناصر ومركباتها فى الكائنات الحية وفى الجمادات هى فى حالة دوران مستمر.. فالذرة تتكون من النواة .. ويدور حول النواة عدد من الإلكترونات .. وكل إلكترون يتحرك حركة مغزلية حول محوره وحركة دائرية حول النواة فى مدارات محددة .. والذرات بدورها لها حركات اهتزازية حول موضع توازنها بالإضافة إلى دورانها فى مدارات محددة لها داخل الجزىء.. والجزيئات أيضا تتحرك داخل المادة بأشكالها المختلفة .. تماما كما تدور الأرض حول محورها وكذلك

تدور حول الشمس والشمس حول مركز المجرة والمجرة تدور حول مركز التجمع المجرى الذى بدوره يدور حول مركز الكون الذى لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى ..، كذلك تدور الأقمار حول الكواكب والكواكب حول الشمس [1] ﴿وكل فى فلك يسبحون﴾ .

* الكون مبنى كله من نسيج واحد مع اختلاف تركيز بعض العناصر فى بعض الكواكب وبعض الأجرام عن بعضها البعض .

* نسبة الصلب إلى الماء فى جسم الإنسان = نسبة اليابسة إلى الماء على سطح الأرض [2].

* عدد العناصر المكونة لجسم الإنسان هو نفس عدد عناصر التربة؛ ٢٤ عنصراً وهو نفس عدد العناصر المكونة للنبات والحيوان أيضا[3] .

* تراص الخلايا فى الكائن الحى تشبه تراص الحجارة فى الأبنية .

* تشابه الشكل الظاهرى للنوع الواحد من الكائنات الحية كتشابه الشكل الظاهرى لبنى آدم (مع اختلاف الألوان والأحجام والبصمات ليتميز كل منا عن غيره) .. وكذلك تشابه الشكل الظاهرى لجميع الطيور مثلاً من نفس النوع كما هو الحال أيضا فى باقى أنواع الحيوانات والنباتات والأسماك ، يقول تعالى : **﴿فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجًا ومن الأنعام أزواجًا يذرؤكم فيه ليس كمثله شىء وهو السميع البصير﴾** [الشورى : ١١] ، أى خلقكم على هذه الصفة من الذكر والأنثى خلقًا من بعد خلق وجيلاً من بعد جيل من الناس والأنعام.

* وكذلك تشابه تركيب الأنسجة ووظائف الأعضاء ودرجة حرارة الجسم ودرجات حرارة كل عضو من أعضاء الجسم للنوع الواحد من

---

(١) د. زغلول النجار ، صور من تسبيح الكائنات لله .

(٢) د. زغلول النجار ، محاضرة .

(٣) د . أنيس الراوى ، قناة اقرأ الفضائية .

الكائنات الحية ، فمثلا درجة حرارة أجسام بنى آدم جميعهم هى ٣٧ درجة مئوية للإنسان المعافى أما درجة حرارة العين فهى ٩ درجات فقط والكبد ٤٠ درجة مئوية .

* نلاحظ أحياناً تشابهاً في الصفات بين بعض الكائنات الحية وبعض الجمادات فمن الناس من له صلابة الحديد مثلاً أو شفافية الماء أو حتى صلادة الحجر ! !

* الزوجية في الخلق هى من سنن الله تعالى فى خلقه، فالعلماء اكتشفوا لاحقا أن الزوجية ليست فقط فى شكلها الطبيعى المتعارف عليه وهى الذكر والأنثى، ولكنها تمثل الصورة الطبيعية لكل شيء فى الوجود[١]، فهى أزواج داخل أزواج، فداخل نواة كل خلية حية توجد أزواج من الشريط الوراثى المزدوج المسمى بـDNA فهو مكون من أزواج من القواعد النيتروجينية، وعند انقسام الخلايا فإن أزواج الأقطاب فى الخلايا والمعروفة باسم السنتريولات، تشد أقطاب الخلايا هذه أنصاف الطاقم الكروموسومى بواسطة خيوط المغزل تجاه الأقطاب لتتكون أزواج جديدة من الخلايا [٢]، كذلك هناك زوجية على المستوى العضوى كالرئتين والأذنين واليدين والعينين. . ، والزوجية موجودة على مستوى الذرة كذلك، فإن لكل ذرة توجد ذرة مضادة . . حتى فى داخل الذرة هناك إلكترون السالب وإلكترون الموجب (البوزترون) ، فالإلكترون لا يمكن أن يتواجد بحالة مفردة بل فى صورة زوجية حيث يوجد إلكترونان فى مستوى إلكترونى واحد، وداخل النواة يوجد البروتون السالب والبروتون الموجب، بل ولقد اكتشف العلماء الأكثر من ذلك، أن لكل مادة يوجد قرين للمادة وبالتالى فإن للكون قرينه أيضاً، فسبحان القائل فى كتابه العزيز : ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين ﴾ [الذاريات. ٤٩]، . .

---

(١) د . عبد الباسط الجمل، كتاب الجينوم والخريطة الوراثية .

(٢) المصدر السابق .

هذا ليكون الواحد بحق هو الله سبحانه وتعالى .

* شهادة كل الأنبياء لله بالوحدانية .

* خص الله تعالى أنبياءه جميعًا بعلامة ألا وهى خاتم النبوة وهى عبارة عن علامة كالشامة أوالزائدة الجلدية بها عدة شعيرات توجد فى الظهر بين الكتفين .

* شهادته عز وجل بأنه لا إله إلا هو خالق كل شىء .. قال تعالى : **﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائمًا بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾** [آل عمران : ١٨].

وقال تعالى : **﴿ ذلكم الله ربكم خالق كل شىء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون ﴾** [غافر : ٦٢].

وكفى بالله شهيدا .

الرحمن الرحيم

شاء الله عز وجل أن نبدأ قراءة القرآن الكريم ببسم الله الرحمن الرحيم حتى إنها آية من السبع المثانى أو سورة الفاتحة التى تعد ركناً أساسياً من أركان الصلاة لما لصفة الرحمن من قدر عظيم في حياتنا .

والرحمن اسم لم يستعمل لغير الله عز وجل وهو أشد مبالغة من الرحيم فالرحمن هو ذو الرحمة الشاملة لجميع خلقه فى الدنيا وللمؤمنين فى الآخرة ، أما الرحيم فهو ذو الرحمة للمؤمنين يوم القيامة.. والرحمن والرحيم كلاهما مشتق من الرحمة ،

فنحن برحمة الله نحيا .. لأن رحمة الله وسعت كل شيء..

" إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي " (حديث شريف أخرجه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه) .

فمن رحمته أن جعل الرحمة في قلوب أمهاتنا منذ أن كنا أجنة في أرحامهن وحتى ولدنا وصرنا أطفالاً ثم شباباً ..ثم رجالاً ونساء.

من رحمته ستره للعبد المذنب فهو الستير.. فمن منا بلا ذنوب أو خطايا ؟ فماذا لو كان لكل عبد يذنب أن يسود جبينه مثلاً أو نشم له رائحة كريهة ؟! ولكنه وحده يعلم ما تخفى القلوب **﴿وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى﴾** [طه : ٧] ليظل باب التوبة مفتوحاً فهو التواب الغفور.

من رحمته أن جعل لنا من أنفسنا أزواجا **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ**

﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم . ٢١] .

من رحمته أنه هو الشافي .. حتى في ابتلائه رحمة، فهو إما أن يحط عن المبتلي أوزاراً أو أن يرفعه درجات .

من رحمته أن جعلنا أمة وسطاً ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة.. ١٤٣]، نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر دون إفراط أو تفريط وكذلك دون تشدد ﴿ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾.. أمة وسطًا في كل شيء .. وسطًا في عباداتنا فقد كتب علينا خمس صلوات في اليوم وصيام شهر في السنة وزكاة مرة في العام وحج مرة في العمر وما زاد فهو تطوع .. وسطًا في حياتنا الزوجية، فلم تكتب علينا الرهبانية ولكن أحل لنا الزواج، حتى تعدد الزوجات كانت له شروط وحدود .. وسطًا في إنفاقنا ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء : ٢٩]، وسطًا في حواسنا .. فسمعنا وبصرنا محدود .. فماذا لو كنا نسمع كل ما حولنا في الكون؟ وماذا لو كنا نرى كل ما يدور في الكون من أدق دقائقه حتى أكبر وحداته ! .. حتى الأرض التي فيها معاشنا خلقها الله تعالى وسطًا فهي ليست كبيرة جداً ككوكب المشترى وليست صغيرة جداً ككوكب عطارد وكذلك ليست قريبة جداً من الشمس وإلا لاحترقنا جميعًا وليست بعيدة جداً عنها وإلا لتجمدنا جميعًا .. حتى جاذبيتها كانت وسطًا أيضًا فهي ليست شديدة وإلا لابتلعتنا وليست قليلة جداً وإلا لحلقنا في السماء ولتخبطنا .

من رحمته خلق الإنسان بهذا الإعجاز بداية من خلق الخلية الحية التي لها من الوظائف ما يعجز أن يؤديه فريق عمل متكامل وكذلك باقي أجهزة الجسم .

من رحمته أن خلق لنا الغلاف الجوى المحيط بالأرض الذى يحتوى على الأكسجين (اللازم لتنفس الإنسان) وثانى أكسيد الكربون (اللازم

لعملية البناء الضوئى فى النبات) وعدة غازات أخرى . . وجميع طبقات الغلاف الجوى تحمينا من الأشعة الكونية الضارة وكذلك من النيازك القادمة إلينا ، ولولا بخار الماء وذرات الأتربة الرقيقة الموجودة في الغلاف الجوى لما كان هناك نهار على الأرض ؛ لأن النهار يأتى من انعكاس ضوء الشمس الساقط على هذه الذرات الرقيقة فى الغلاف الجوى فينير الأرض .

من رحمته أن خلق لنا النهار لمعاشنا وخلق لنا الليل لسكننا وخلق فصول السنة وخلق الحياة والموت لنستشعر بأن كل شيء إلى فناء وأن الباقى هو الله فلا نحزن على ما فاتنا .

من رحمته أن سخر لنا الحيوان والجبال والشمس والقمر والأنهار والثمار وأنزل لنا من السماء ماء عذباً . . ولم يفرق فى عطاءاته لعباده فى الدنيا بين مؤمن وكافر .

من رحمته أن أرسل إلينا خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾** ليكون لنا بشيراً ونذيراً ومعلماً وأسوة حسنة وشفيعاً يوم القيامة . . وأنزل عليه القرآن الكريم ليكون ربيع قلوبنا ونور أبصارنا وجلاء حزننا .

وأوصانا عز وجل بصلة الرحم واشتق اسم الرحم من صفة الرحمن فقد قال رسول الله ﷺ :"قال الله عز وجل : أنا الرحمن، وهى الرحم، شققت لها من اسمى، من يصلها أصله ، ومن يقطعها أقطعه فأبته" (حديث صحيح أخرجه أحمد والحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه)[١] .

---

(١) صحيح الأحاديث القدسية .

القدوس السلام

الله عز وجل اتصف بصفات الكمال وتقدس عن كل عيب ومحال ، وتعالى عن الأشباه والأمثال فهو تعالى ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ [الشورى: ١١].

فالقدوس كالسلام ينفيان كل نقص .. واذا انتفى النقص ثبت الكمال [١].

فكل أسماء الله عز وجل وصفاته تتصف بالكمال المطلق .. فهو الرزاق .. الفتاح .. العليم .. الكبير .. المتعال .. العظيم .. الذى يسبح له خلقه أجمعين ، فتقديس الله عز وجل يكون بتسبيحه.

والتسبيح لغة هو الذكر بالتمجيد مع التنزيه عن كل نقص ووصف لا يليق بجلال ربوبيته وألوهيته تعالى ووحدانيته ، والإقرار بتفرده سبحانه بالسلطان فى ملكه بغير شريك ولا شبيه ولامنازع .

فعن طلحة بن عبيد الله أنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير سبحان الله فقال : "هو تنزيه الله عز وجل عن كل سوء" .

ويقر الله عز وجل حقيقة تسبيح جميع خلقه لذاته العلية بقوله تعالى : ﴿ **تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا** ﴾ [الإسراء: ٤٤].

ولقد قرأت كتاب : صور من تسبيح الكائنات لله ، تحدث فيه العلامة الدكتور زغلول النجار عن كيفية تسبيح المخلوقات لخالقها عز

---

(١) شرح الأسماء الحسنى ، للشيخين حافظ حكمى وعبد الرحمن السعدى .

وجل ، ولشدة إعجابي وانبهاري بما ورد في الكتاب فقد قمت بتلخيصه قدر المستطاع وإعادة ترتيب بعض فقراته ، وفي هذا الكتاب يوضح الدكتور النجار أنواع التسبيح فيقول :

و التسبيح نوعان :

(١) فطرى (٢) إرادى أو اختيارى

فأما التسبيح الفطرى فيقوم به الملائكة المطهرون [وإن كان بعض العلماء يرون أن تسبيحهم اختيارى لثناء الله تعالى عليهم بقوله : ﴿ **بل عباد مكرمون** ﴾ [الأنبياء:٢٦] ، كذلك يقوم به غير المكلفين من كافة صور الأحياء والجمادات والظواهر وكل أجزاء الكون من ذرات متناهية في الصغر إلى التجمعات المجرية وما بها من نجوم وكواكب ونيازك وسدوم وثقوب سود وأجرام سماوية وما بداخلها من مختلف صور المادة والطاقة - الصخور والمعادن والعناصر - وما يصاحب ذلك من ظواهر كونية وكذلك ما يحيا في السموات وكذلك الأرض وما يشكلها من مختلف صور المادة والطاقة وما يصاحب ذلك من ظواهر ، وما يعلو سطحها من الجبال والتلال والهضاب والسهول ، وما يملأ منخفضاتها من البحار والبحيرات ، وما يكون غلافها الصخرى من مختلف الأحجار وما يغطيها من تربة ورمال ، وما يحيط بالأرض من هواء ، ودورة الماء بين السماء والأرض وما ينتج عن كل ذلك من ظواهر ، وكل السحب والعواصف والثورانات البركانية والهزات الأرضية والرعد والبرق ، وكذلك انفتاح المحيطات وانغلاقها ، وتباعد القارات وتصادمها وارتفاع الجبال واندثارها ، وشروق الشمس وغروبها وبزوغها وكسوفها ، وطلوع القمر وخسوفه وتدفق الأنهار وانقطاعها .. وحتى أيضًا ما بأجساد الكائنات من خلايا وأنسجة وأجهزة وما يصاحبها من تفاعلات ويحكمها من قوانين وسنن .. وحتى في رفات الأموات وما يتحلل عنها من عناصر ومركبات .. كل ذلك قانت عابد ، مسبح لله ،

خاشع لجلال عظمته !

ويصف بعض العلماء المفسرون التسبيح هنا بأنه تسبيح بلسان الحال بمعنى أن دقة البناء وانتظام الأداء وانضباط الحركة فى كل منها يدل دلالة قاطعة على كمال القدرة الإلهية وعلى تنزيه الخالق عن كل نقص ، وإن كان العلماء لا ينفون أيضاً إمكانية أن يكون ذلك التسبيح بلسان المقال – أى النطق – ولكن بصورة لا يستطيع كل إنسان استيعابها ، ويتأكد لنا ذلك من قول الحق تبارك وتعالى : **﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾** [الإسراء ٤٤]

ثم يستعرض الدكتور زغلول النجار بعض اللمحات من ذلك التسبيح الفطرى فى القرآن الكريم :

يقول تعالى فى مطلع سورتى الحشر والصف : **﴿سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض﴾** .

ويقول عز وجل : **﴿يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته﴾** [الرعد ١٣].

ويقول تعالى : **﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين﴾** [الأنبياء : ٧٩]

كما يقر القرآن لكريم بأن كلاً من الطيور والنمل والنحل كغيرها من سائر الحيوانات أمم كأمثال الأمم الإنسية لها منطق – لغة – تتفاهم بها فيما بينها ، يقول تعالى : **﴿وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون﴾** [الأنعام :٣٨].

وإن هذه الكائنات التى تحيا حياة جماعية كالأمم مثل ممالك النحل والنمل وغيرها تنظم حياتها المشتركة تنظيماً دقيقاً تتنوع فيه الوظائف والأعمال والمسؤليات وهى بذلك تكون مسبحة لخالقها عز وجل حيث روى عن الرسول ﷺ أنه قال : " قرصت نملة نبيًا من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت فأوحى الله إليه : أن قَرَصَتْكَ نملةٌ أحرقتَ أمةَ من الأمم

تسبح الله ؟ ! " (رواه البخارى).

أما بالنسبة لتسبيح الجمادات التى يظن البعض أنها جامدة لا تتحرك ولكنها فى حقيقة الأمر هى أيضًا مسبحة لربها عز وجل .

فإذا تحدثنا عن تسبيح الجبال مثلاً فلقد ورد وصف الجبال فى القرآن الكريم بأنها رواسى للأرض ثم أثبتت الدراسات الحديثة ذلك باكتشاف أن الجبال تثبت كلاً من الأرض ككوكب وألواح غلافها الصخرى [التى تكون مادة القارات كما تكون قيعان البحار والمحيطات] فى الطبقة الموجودة تحت الغلاف الصخرى للأرض مباشرة، كذلك جاء وصف الجبال فى القرآن الكريم بأنها أوتاد ، والوتد يكون أغلبه مدفون تحت سطح الأرض وأقله ظاهر فوق سطحها ووظيفته التشبيت ، فجاءت الدراسات الحديثة لتؤكد تلك الحقيقة فكل ارتفاع على سطح الأرض يكون له امتداد فى داخلها يتراوح طوله بين عشرة أضعاف وخمسة عشر ضعفًا لارتفاعه فوق سطح الأرض ، وهذا الجزء المدفون من الجبل يخترق الغلاف الصخرى للأرض بالكامل ليطفو فى أعلى نطاق من نطق وشاح الأرض الداخلية يعرف باسم " نطاق الضعف الأرضى " الذى تكون المادة فيه لدنة ، شبه منصهرة ، عالية الكثافة واللزوجة تدفع كتلة الجبل إلى أعلى حسب قوانين الطفو فتؤدى إلى انتصاب الجبال فوق سطح الأرض، وبالتالى فإن الجبال ليست كتلا هامدة ولكنها دائمة الحركة فكلما أخذت عوامل التعرية من قممها ارتفعت إلى أعلى حسب قوانين الطفو، ويستمر هذا الارتفاع إلى أعلى حتى يتم خروج الجبل بالكامل من نطاق الضعف الأرضى وحينئذ يتوقف ارتفاعه، وتأخذ عوامل التعرية فى تآكله تدريجيًا حتى تظهر أجزاؤه المدفونة، والجبال تتحرك رأسيًا بالتصدع وكذلك بالدفع من أسفل إلى أعلى بواسطة عدة قوى داخلية للأرض وكذلك تتحرك الجبال مع الأرض فى دورانها حول محورها وفى مدارها حول الشمس ، ومع المجموعة الشمسية حول مركز

مجرتنا ومع المجرة حول مركز التجمع المجرى ومع الأخير حول مركز التجمع المجرى الأعظم ثم حول مركز الجزء المرئي لنا من الكون، يقول تعالى : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل .٨٨].

وبالتالي فإن كل شيء في الكون من حولنا يتحرك حتى وإن لم نستطع ببصرنا المحدود أن نرى حركته.

نجد مثلاً جميع أشكال المادة صلبة كانت أو سائلة أو حتى غازية فإنها تتكون من جزيئات وكل جزيء يتكون من عدة ذرات والذرة تتكون من نواة يدور حولها الإلكترونات وكل إلكترون يدور حول نفسه في حركة مغزلية ويدور أيضاً حول النواة والذرات جميعها تتحرك داخل الجزيء والجزيء نفسه يتحرك داخل العنصر إذن فالذرات ليست جامدة تماماً لأن الرابطة بين الذرات تشبه الزنبرك ولذلك تهتز الذرات حول موضع اتزانها.

ويقول الدكتور زغلول أيضاً : كذلك الأجسام الصلبة المتبلورة تترتب الذرات والجزيئات فيها في أشكال هندسية محددة لكل عنصر من العناصر أو مركب من المركبات تعرف باسم البلورات حيث تتوزع وتترتب الجزيئات والذرات في داخل البلورات بانتظام غاية في الدقة، وتقوم هذه الوحدات البنائية باهتزازات مستمرة داخل البلورة ينتج عنها موجات صوتية ذات ترددات مختلفة ، وهذه الموجات لا تتوقف أو تنقطع أبداً مهما اختلفت الظروف المحيطة بها !!

قال تعالى : ﴿ أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [فصلت: ٢١].

فسبحان الذى أنطق كل شيء يسبح بحمده ويشهد له بالكمال.

أما الإنسان فإنه يسبح الله تعالى تسبيحاً فطريًا منذ أن كان في صلب أبيه آدم عليه السلام وفي أجداده من بعد آدم ، يقول تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف ١٧٢].

ويظل كل إنسان منا يسبح بنفس الطريقة الفطرية وهو فى بطن أمه وحتى ميلاده حتى يصل إلى سن التكليف فيبدأ حينئذ بالتسبيح الاختيارى ولكن يظل التسبيح الفطرى لخلايا جسده وذراته وجميع عناصره ومركباته وما يتعايش معه من كائنات مثل الفطريات والفيروسات وغيرها ، ثم بعد وفاته تظل ذرات جسده المتحلل تسبح الله تعالى وتقدسه إلى قيام الساعة حين تدعى إلى التجمع من جديد لحظة البعث .. ولكن كيف تسبح هذه الذرات بعد الوفاة ؟

فلقد اكتشف العلم الحديث أن الأحماض الأمينية التى تعتبر اللبنات الأساسية لتكوين الجزىء البروتينى والتى لها القدرة على ترتيب ذراتها ترتيبًا يساريًّا فى أجساد جميع الكائنات الحية [وهى بذلك النظام الدقيق تكون مسبحة لله تعالى فى أثناء حياة الكائن الحى] هذه الأحماض تعاود ترتيب تلك الذرات ترتيبًا يمينيًّا بمعدلات ثابتة بمجرد وفاة الكائن الحى !! وبحساب نسبة الترتيب اليمينى إلى اليسارى فى أية فضلة عضوية من قطعة خشب أو جلد مثلاً بها أية آثار من الأحماض الأمينية يمكن تحديد زمن وفاة ذلك الكائن ، ولم يستطيع أحد من العلماء تفسير هذا .. ولكنها القدرة الإلهية المنزهة عن كل نقص، فإن دل هذا على شىء فإنما يدل على أن كل شىء فى هذا الوجود يسبح بحمد الله ويسجد له وينطق بعظمته .

ويستكمل الدكتور النجار حديثه قائلاً : أما التسبيح الإرادى : فيكون للعقلاء المكلفين من الإنس والجن ، فالله تعالى خلق الجن والإنس لعبادته، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات ٥٦]، ويكون التسبيح هنا بلسان المقال أى النطق

الذى يشمل ذكره تعالى على كل حال بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلا التى تثبت له من صفات الكمال المطلق ما أثبته تعالى لنفسه .

وهذا التسبيح الاختيارى يجعل المخلوق المكلف متناغماً ، منسجماً مع بقية أفراد الكون المسبحة لله تسبيحاً فطرياً متواصلاً ، وهذا التناغم مع كافة أجزاء الكون له مردوداته المادية والمعنوية والجسدية والنفسية والروحية ، ومن هنا طالبنا الله تعالى بضرورة الإكثار من الذكر والتسبيح ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (41) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا** ﴾ [الأحزاب : ٤١، ٤٢].

ويذكرنا المولى عز وجل بأن تسبيح سيدنا يونس عليه السلام وهو في بطن الحوت كان سبباً في نجاته فيقول تعالى : ﴿ **فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾ [الصافات : ١٤٣ ، ١٤٤].

ومن هنا أيضا وصانا نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام بالمداومة على ذكر الله وتسبيحه وتأكيده على فضل ذلك عند رب العالمين بقوله ﷺ : "كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم "

و قوله أيضاً : "مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكره مثل الحى والميت" (رواه البخارى) (١) .

نسأل الله تعالى أن نكون من الذاكرين المسبحبن بحمده الشاكرين لأنعمه .

---

(١) رياض الصالحين ، للإمام النووى .

المحيى

الله سبحانه وتعالى هو الحى .. الذى له الحياة الدائمة والبقاء الذى لا أول له ولا آخر .. له كامل صفات الذات الإلهية .. فهو خالق مخلوقاته أجمعين من العدم .. وهو وحده جل جلاله المحيى .. الذى يعطى الحياة لمن يشاء من خلقه .. الحياة التي هي خلق من مخلوقات الله عز وجل ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ [الملك : ٢].

و نحن عندما نتحدث عن الحياة نقول إنها عبارة عن حس وحركة بالمعنى الذى تعودناه ، لأننا نقيس ذلك على أنفسنا نحن ، ولكن الحياة يجب أن تقاس - كما يقول الشيخ الشعراوى رحمة الله عليه فى كتابه الحياة والموت - تقاس على أساس مهمة كل شيء فى هذا الكون ، فنحن ننظر للجماد على أنه ليس فيه حس وحركة أى ليس فيه حياة ولا نلتفت إلى أن مهمته فى الحياة تقتضى ذلك ، لأننا إذا تدبرنا قول الحق : ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ [القصص : ٨٨] ، لأدركنا يقينا أن كل ما يطلق عليه شيء فى هذا الكون سيهلك يوم ينفخ في الصور ، وما دام الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ كل شيء هالك ﴾. إذن فكل شيء فيه حياة لأن الهلاك هو عكس الحياة أو مقابلها بدليل قول الحق تعالى :

﴿ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة ﴾ [الأنفال : ٤٢].

فالجماد له حياة تناسبه .. والنبات له حياة تناسبه .. والحيوان له أيضًا حياة تناسبه .. والإنس والجن هم أيضًا لهم حياة تناسبهم ، لكى تبقى حقيقة لا جدال فيها وهى أن هذه الأشياء مسبحة لله تعالى وذلك

مصداقا لقوله تعالى : ﴿ **وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ** ﴾ من [الإسراء ٤٤] (١) .

فكل لبنة من لبنات الكون تتحرك وتؤدى مهمتها فى الحياة بانتظام بالغ ، وبدقة متناهية ، وهى بذلك مسبحة لله عز وجل ، حتى خلايا وذرات الكافر تتحرك وتؤدى مهمتها فى الحياة بدقة شديدة . . فهى أيضًا مسبحة خاضعة لله عز وجل ، . . حتى الجبال فيها حياة ، يقول تعالى : ﴿ **وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ** ﴾ [النمل : ٨٨] .

فإن الجبال ليست كتلاً هامدة كما نتصور ولكنها دائمة الحركة ، فغالبيتها مدفون تحت سطح الأرض ، وهذا الجزء المدفون من الجبل يخترق الغلاف الصخرى للأرض بالكامل ليطفو فى أعلى نطاق من نطق وشاح الأرض الداخلية يعرف باسم " نطاق الضعف الأرضى " الذى تكون المادة فيه لدنة ، شبه منصهرة ، عالية الكثافة واللزوجة تدفع كتلة الجبل إلى أعلى حسب قوانين الطفو فتؤدى إلى انتصاب الجبال فوق سطح الأرض وكلما أخذت عوامل التعرية من قممها ارتفعت إلى أعلى حسب قوانين الطفو ، ويستمر هذا الارتفاع إلى أعلى حتى يتم خروج الجبل بالكامل من نطاق الضعف الأرضى وحينئذ يتوقف ارتفاعه ، وتأخذ عوامل التعرية فى تآكله تدريجيًا حتى تظهر أجزاؤه المدفونة ، والجبال تتحرك رأسيًا بالتصدع وكذلك بالدفع من أسفل إلى أعلى بواسطة عدة قوى داخلية للأرض وكذلك تتحرك الجبال مع الأرض فى دورانها حول محورها وفى مدارها حول الشمس ، ومع المجموعة الشمسية حول مركز مجرتنا ومع المجرة حول مركز التجمع المجرى ومع الأخير حول مركز التجمع المجرى الأعظم ثم حول مركز الجزء المرئى لنا من الكون (٢) .

---

(١) الحياة والموت ، للشيخ الشعراوى .

(٢) صور من تسبيح الكائنات لله ، للدكتور زغلول النجار .

إذن هناك حركة في الجماد لا تلحظها العين ، ولكنها تتم ليؤدى الجماد مهمته في الحياة ككائن حي وليس كجماد ميت .. فهذا الجماد الذى ندعي أن لا حياة فيه له عواطف ولكن لا نعرفها ، واقرأ قول الله تعالى : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴾ [الدخان ٢٩] .

ويقول سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه : " إذا مات المؤمن بكى عليه موضعان ، موضع سجوده فى الأرض وموضع صعود عمله الصالح فى السماء " .

إذن الأرض والسماء لهما عواطف .. ولهما آذان خاصة يسمعان بها كلام الله تعالى ويفهمانه ويردان أيضا عليه كما يخبرنا بذلك رب العزة فى كتابه الكريم بقوله ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصلت ١١]. لقد فهمتا كلام الله عز وجل .. وتكلمتا بلغة لا يعلمها إلا الله ، واقرأ قوله تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ [الانشقاق ١ - ٥].

و﴿ أذنت ﴾ هنا أى سمعت بأذنها ، أى أن السماء لها أذن تسمع بها والأرض أيضًا .. كل هذا لا نعلم نحن عنه شيئًا [١] .

و للجماد أيضًا عاطفة وخشية لله تعالى أكثر من عاطفة وخشية قلب الإنسان ، وفى هذا يقول المولى عز وجل : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : ٧٤].

وورد فى سيرة الرسول ﷺ أن الحصى سبح بين يديه الشريفتين وأن منبره اهتز من خشية الله .

---

(١) الحياة والموت ، للشيخ الشعراوى .

وإذا انتقلنا للنبات نجد أن فيه حياة .. وحياته التى خلقها الله تعالى فيه تجعل كل نوع منه يختار من عناصر الأرض ما يناسبه .. واقرأ قول الحق : ﴿ وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد : ٤]. فشجرة التفاح مثلاً تختار من العناصر ما يوفر لثمرتها الحلاوة واللون والرائحة والجاذبية ، بينما بجوارها شجرة الحنظل تختار ما يجعلها شديدة المرارة ، وبجانبها شجرة الفلفل ما يجعلها حريفة .. وهكذا .. وكل هذا يسقى بماء واحد[١] .

وفى السيرة النبوية الشريفة أيضًا وردت قصة جذع النخلة الذى كان رسول الله ﷺ يخطب وظهره مستند إليه فلما جعلوا للرسول ﷺ منبراً ، أصدر هذا الجذع أنينًا حزنًا على فراق النبى .

إذن فللنبات حس وحركة واختيار وأداء لمهمة .. فهو بذلك مسبح ، ذاكر لله تعالى وإن كنا لا نعرف لغته .

وفى عالم الحيوان أيضا هناك لكل نوع منه لغة يتفاهم بها مع جنسه ، ألم تقل النملة حينما رأت جنود سليمان عليه السلام: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل: ١٨].

وقصة الهدهد مع سليمان عليه السلام حينما تحدث عن ملكة سبأ وقومها وكيف أنهم يعبدون الشمس من دون الله .. ، فلو تدبرنا هذه القصة وتلك لأدركنا بأن هناك علمًا أعطاه المولى للنملة وللهدهد وبالتالى سائر الحيوانات ، وأن لكل منهم لغة يتكلم بها لا نفهمها ، وأن هؤلاء جميعهم يسبحون الله عز وجل .

إذن فالحياة لا تشمل الإنسان وحده ولكنها تشمل أجناس الكون كله ولكننا لا نعرف عنها إلا القدر البسيط .

---

(١) الحياة والموت ، للشيخ الشعراوى .

فالله تعالى هو من أحيا كل شيء في هذا الكون ، لكن بحياة تناسب مهمته .. فلا الجماد ميت ، ولا النبات ، ولا الحيوان ، بل لكل منهم حياة لا نفهمها نحن .

ثم يأتي الإنسان .. ذلك المخلوق الذى فضله المولى عز وجل على سائر المخلوقات ، وسخر الكون لخدمته ، فالله سبحانه وتعالى أحياه من بعد موته في عالم الذر - في ظهر أبينا آدم عليه السلام - ثم يميته موتة أخرى فينتقل إلى عالم البرزخ ثم يحييه يوم البعث حياة أبدية لا موت فيها ، يقول تعالى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨] .

يقول الشيخ الشعراوى في كتابه الحياة والموت : "نحن قبل أن نأتي إلى هذه الحياة الدنيا كنا مخلوقين بدليل أن الله سبحانه وتعالى كلمنا وأشهدنا على أنفسنا وأخذ علينا العهد ولكننا كنا مخلوقين فى عالم الموت .. ثم انتقلنا بأمر الله وإذنه إلى عالم الحياة الدنيا فأصبحنا بعد أن كنا أمواتا ، أصبحنا أحياء .. كيف ؟

لقد انتقلنا من عالم الموت إلى عالم الحياة الدنيا - وكل من فى الحياة الدنيا كما قلنا حى - فمجرد انتقالنا من عالم الموت إلى عالم الحياة جعلنا أحياء ، وعندما نغادر هذه الدنيا ننتقل مرة أخرى من عالم الحياة إلى عالم الموت فنعود مرة أخرى أمواتًا .. ثم نبعث فننتقل من عالم الموت إلى عالم الحياه الآخرة ساعة البعث للحساب .. ليس معنى ذلك أن الموت عدم ، ولكن معناه أننا انتقلنا من عالم له قوانينه إلى عالم آخر له قوانينه الأخرى ، وهذا الانتقال لا يتم لأى خلق من خلق الله إلا بإذن الله تعالى" .

ونحن نحيا الآن حياتنا الأولى التى وهبها المولى عز وجل لنا بأن نفخ فينا من روحه فأصبحنا أحياء كلنا سواء المؤمن منا وغير المؤمن.. ولكن هل هذه هى الحياة التى أرادها الله تعالى لنا أم أن هناك حياة أسمى ؟

والجواب نعم .. هناك حياة أسمى .. فلابد من حياة للقلوب أيضًا .. لأن القلب هو مستقر العقيدة السليمة ، فحياة القلوب تكون بالهدى .. بالقرآن .. بالذكر ، اقرأ قول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى ٥٢] ، و(روحًا) في قول ابن عباس أي نبوة ، وقال البعض هو جبريل عليه السلام ، وقال الحسن والضحاك وقتادة أي أن هذا القرآن رحمة من عند الله وقالوا أسماه روحا لأن فيه حياة من موت الجهل والضلالات ، وقد كان مالك بن دينار يقول : يا أهل القرآن ، ماذا فعل القرآن في قلوبكم ؟ فإن القرآن هو ربيع القلوب كما أن الغيث ربيع الأرض .

ويقول عز من قائل: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وميت هنا أي بمنزلة الميت لفقدانه الهداية ، والآية في تفسير ابن كثير: أي من كان هالكًا حائرًا فأحياه الله تعالى ، أي أحيا قلبه بالإيمان وهداه ووفقه لإتباع رسله ، وجعل له نورًا يهتدى به، كيف يسلك وكيف يتصرف به ، والنور هو القرآن ، والظلمات أي الجهالات والأهواء والضلالات المتفرقة ليس بخارج منها ولا يهتدى إلى منفذ ولا مخلص مما هو فيه .

و يقول عز من قائل: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[المائدة:٣٢]. ويفسر بعض المفسرين كلمة أحياها هنا أي من حرم قتلها إلا بحق واعتقد ذلك فقد سلم الناس كلهم منه بهذا الاعتبار. وقال مجاهد : أي أنجاها من غرق أو حرق أو هلكة .. ، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: جاء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله، اجعلني على شيء أعيش به. فقال ﷺ «يا حمزة ، نفس تحييها أحب إليك أم نفس تميتها ؟». فقال :

بل نفس أحييها . فقال : «عليك بنفسك» .. وقوله عليه الصلاة والسلام: «مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكره مثل الحى والميت» (رواه البخارى) . فالحمد لله أن هدانا وأحيا قلوبنا بمحبته واتباع رسله وبذكره وقرآنه .

إذن فهناك روح لحركة الحياة .. روح يتساوى فيها كل من المؤمن والكافر .. وهناك روح أخرى لحياة أخرى بمنهج الله تعالى ، وهذه الحياة هى التى تؤهلك للحياة الحقيقية وهى حياة الخلود فى جنات النعيم .

فالحبة مثلاً فيها روح ولكنها لا تنبت إلا إذا وضعت فى بيئة صالحة لحياتها فتثمر وتعطى الخير الكثير ، أما إذا ما وضعت فى غير البيئة الصالحة لحياتها فلا تنبت ولا تؤدى دورها الذى خلقت من أجله .

يقول الله تعالى : ﴿ **اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ** ﴾[الأنفال: ٢٤] ، وهذا الخطاب من المولى عز وجل للمؤمنين وهم لا يزالون أحياء فكيف يقول لهم : ﴿لما يحييكم﴾ ؟

و الجواب لأن الحياة الحقيقية هى حياة الخلود ، ولكن هذه الحياة الدنيا التى نحياها هي دار اختبار .. يختبر فيها الإنسان فى منهج الله ، ثم يكون مصيره حتماً إلى الموت ثم يبعث بعد ذلك يوم الحساب .

والله سبحانه وتعالى من حكمته أنه قرب لنا صورة إحياء الموتى في دنيانا ، فقال تعالى : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [فصلت: ٣٩] . والآية فى تفسير ابن كثير : أى ومن حجج الله تعالى وقدرته على نشر الموتى ﴿ **أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً** ﴾ أى: هامدة لا نبات فيها بل هى ميتة ، ﴿ **فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ** ﴾. أى: إذا أنزلنا غيثاً من السماء على هذه الأرض اليابسة اهتزت وتحركت بالنبات وربت أى انتفخت وارتفعت من قبل أن تنبت حتى تكون هشة لدرجة

تسمح للنبتة الأولي باختراقها ، ثم تخرج جميع ألوان الزروع والثمار ، ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

وهنا يجدر بنا الإشارة إلى هذا الحديث الشريف الذى رواه أبو هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ : « كل ابن آدم تأكل الأرض إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب » (رواه أبو داود، النسائي، أحمد، ابن ماجه، ابن حبان، مالك)، وفي رواية لأبى سعيد الخدرى رضى الله عنه مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ أنه قال : "يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه». قيل : وما عجب ذنبه يا رسول الله؟ قال : «مثل حبة خردل منه نشأ»، وهذا الحديث الشريف يشير إلى حقيقة علمية لم يتوصل العلماء إلى معرفتها إلا منذ سنوات قليلة، حين أثبت المتخصصون فى علم الأجنة أن جسد الإنسان ينشأ من شريط دقيق للغاية يسمى باسم "الشريط الأولى" الذي يتخلق بقدرة الخالق سبحانه وتعالى فى اليوم الخامس عشر من تلقيح البويضة وانغراسها فى جدار الرحم، وإثر ظهوره يتشكل الجنين بكل طبقاته وخاصة الجهاز العصبى وبدايات تكون كل من العمود الفقرى، وبقية أعضاء الجسم ؛ لأن هذا الشريط الدقيق قد أعطاه الله تعالى القدرة على تحفيز الخلايا على الانقسام، والتخصص، والتمايز والتجمع فى أنسجة متخصصة، وأعضاء متكاملة فى تعاونها على القيام بكافة وظائف الجسد.

وثبت أن هذا الشريط الأولى يندثر فيما عدا جزءاً يسيراً منه، يبقى فى نهاية العمود الفقرى (العصعص)، وهو المقصود بعجب الذنب فى أحاديث رسول الله ﷺ، وإذا مات الإنسان، يبلى جسده كله إلا عجب الذنب الذى تذكر أحاديث رسول الله ﷺ، أن الإنسان يعاد خلقه منه بنزول مطر خاص من السماء، ينزله ربنا تبارك وتعالى وقت أن يشاء فينبت كل مخلوق من عجب ذنبه، كما تنبت النبت من بذرتها ، وقد أثبت العديد من علماء الصين - بعد العديد من التجارب المعملية -

استحالة إفناء عجب الذنب (نهاية العصعص) كيميائيًّا بالإذابة في أقوى الأحماض، أو فيزيائيًّا بالحرق، أو بالسحق، أو بالتعريض للأشعة المختلفة، وهو ما يؤكد صدق حديث المصطفى ﷺ الذي يعتبر سابقة لكافة العلوم المكتسبة بألف وأربعمائة سنة على الأقل [1].

والقرآن الكريم يروى أيضًا لنا قصصًا عديدة في قدرة الله عز وجل على إحياء الموتى في خمسة مواضع وهي:

١- يقول تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[البقرة: ٥٦]، وذلك عندما سأل بنو إسرائيل موسى عليه السلام أن يريهم الله تعالى جهرة فأخذتهم الصاعقة فماتوا ثم بعثهم أى أحياهم الله تعالى مرة أخرى من بعد موتهم.

٢- يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٢، ٧٣]، يقول المفسرون أى فضربوه فصار حيًّا بإذن الله، ونبه المولى عز وجل على قدرته وإحيائه للموتى بما شاهدوه من أمر القتيل ليجعل هذا حجة على البعث يوم القيامة وفاصلاً ما كان بينهم من أمر الخصومة.

٣- وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٣]. فقد كانوا عدة آلاف من بنى إسرائيل فروا من قريتهم هربًا من الطاعون ثم ذهبوا إلى واد فأماتهم الله ثم مر عليهم نبى من أنبياء الله فدعا الله أن يحييهم فأحياهم.

٤- وقوله عز من قائل: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ

---

(١) موقع islamonline.net، الجسد يبلى ما عدا عجب الذنب - بقلم/ الدكتور زغلول النجار.

لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة : ٢٥٩].

٥- ويقول سبحانه : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة : ٢٦٠]. وهنا كان سيدنا إبراهيم عليه السلام موقنًا بأن الله تعالى هو المحيى المميت ولكنه أراد أن يترقى من علم اليقين إلى عين اليقين فقال : أرنى كيف تحيي الموتى. ولم يقل : أتحيى الموتى؟

فالله تعالى يرينا إحياء الموتى فى الدنيا ليكون حجة لنا على البعث يوم القيامة .

إذن . . فالحياة هى الأصيلة فى هذا الكون أما الموت فهو طارئ عليها ، ذلك أن الله تعالى عندما خلق الإنسان ونفخ فيه من روحه أعطاه الأبدي . . فهو يعيش فى حياته ما قدر له أن يعيش ثم يموت فيبعث ليعيش حياة أبدية فى الآخرة إما فى الجنة أو فى النار ، يقول تعالى : ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت : ٦٤]. أى أن الدار الآخرة هى الحياة الحقيقية لو كانوا يعلمون .

المميت

يقول تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ [الملك : ٢] .. فالله تعالى هو خالق الموت ، هو وحده المميت أى مقدر الموت ﴿ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ . [الشعراء :٨١]

فهو الحى الباقي والكل إلى فناء ، يقول الله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ [القصص : ٨٨] . ولأن الهلاك هو عكس الحياة ، إذن فكل شيء حى ، لكنه حى بحياة تناسب مهمته في الكون .. ثم يموت إذا انتهت مهمته ، فالشجرة عندما تجف أوراقها وتفقد القدرة على الإثمار تكون بذلك قد ماتت لأن مهمتها في الحياه انتهت (١)

كذلك يموت الجماد .. فنرى بحارًا وأنهارًا تجف .. وجبالاً تزول .. وقارات تطمر .. ونجومًا تولد وتموت .. وشهبًا تحترق ..

كذلك تموت أيضًا جميع أجناس الحيوانات .

والإنسان يموت حين يأتى أجله ويستوفى رزقه وحين تنتهى فترة الاختبار المقدرة له ، فيحتضر ثم يقبض ملك الموت روحه بإذن ربه .

والحقيقة أن هذه الموتة هى كما يسميها العلماء بالموتة الكبرى أو بالوفاة الكبرى ، أى أن هناك وفاة صغرى كما يقول العلماء بأن النوم هو الموتة الصغرى ، يقول تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الزمر : ٤٢] ، يقول ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير هذه الآية الكريمة : بلغنى أن أرواح الأحياء

---

(١) كتاب الحياة والموت ، للشيخ الشعراوى .

والأموات تلتقى فى المنام فيتساءلون بينهم ، فيمسك الله جل وعلا أرواح الموتى فيحبسها ، ويرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها إلى حين أجلها ، ثم ترد الأرواح جميعها إلى أبدانها يوم القيامة يوم البعث[1] .

ويقول ابن قيم الجوزية - رحمة الله تعالى عليه - فى كتابه الروح : والدليل على تلاقى الأرواح فى المنام هو ما ورد عن الكثير من أن أحداً رأى صاحباً له أو قريباً أو غيره فأخبره بأمر لا يعلمه ، أو أخبره بمال دفنه أو حذره من أمر يقع أو أخبره بأنه يموت ، فيقع كما أخبر ، ولم تكن فى نفس الرائى أى معرفة بهذه الأمور التى أخبر بها ولا حتى خطرت بباله .

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال ذات مرة : عجبت لرؤيا الرجل ، يرى الشيء لم يخطر له على بال فيكون كآخذ بيد ، ويرى الشيء فلا يكون شيئاً .. فقال له على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : يا أمير المؤمنين ، يقول الله عز وجل : ﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ . ثم قال : والأرواح يعرج بها فى منامها ، فما رأت وهى فى السماء فهو الحق ، فإذا ردت إلى أجسادها تلقتها الشياطين فى الهواء فكذبتها ، فما رأت من ذلك فهو الباطل . فجعل عمر يتعجب من قول على .

إذن فهناك عدة أنواع للموت ، فالنوم موتة صغرى ، وهناك أيضاً نوع آخر من الموت يحدث داخل أجسادنا ونحن لانزال أحياء وهو ما يسميه علماء الأحياء بالموت الخلوى المبرمج ، ولقد قرأت مقالاً نشر عن هذا بعنوان (الموت المقدر) بقلم د. مجاهد أبو المجد - مجلة الإعجاز العلمى العدد العاشر - جاء فيه :

وهذا النوع من الموت هو الذى يشير إليه ربنا تبارك وتعالى فى قوله :

---

(١) كتاب الزوح لابن القيم الجوزية .

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة : ٦٠، ٦١].

ويرى البيولوجيون أن هذا النوع من الموت يقوم بدور أساسى فى النمو والاتزان الحيوى للكائنات عديدة الخلايا ، وأن برنامج هذا الموت المقدر تتحدد أنظمته منذ اللحظات الأولى لخلق الأجنة .. ويتحكم فى هذا النوع من الموت عدة جينات تقوم بالإشراف على تصنيع بروتينات الموت داخل الخلايا والتى تعمل كأسلحة تدمير ذاتية للخلية ، بحيث تموت الخلايا التى لا تكون مفيدة للجسم أو التى حان أجلها ، ولكن الخلية تفرز مثبطات لهذه الأسلحة التدميرية طوال فترة حياتها .

وكذلك فإن هذا النوع من الموت يساعد على التجديد المستمر لخلايا الجسد بطريقة مرتبة ومنظمة .. فجميع الخلايا والأنسجة الداخلية تتبدل بانتظام بطريقة مبرمجة وفق قوانين وضعها لها خالقها سبحانه وتعالى .

كذلك نجد أن بعض الخلايا التى قدر لها أن تموت .. نجدها لا تفنى ولكنها تستخدم فى تكوين نسيج حى آخر .. فسبحان القائل : ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الأنعام: ٩٥]. يقول المفسرون : و(يخرج) هنا جاءت فى زمن الفعل المضارع للدلالة على الاستمرارية وعلى تعاقب إخراج الحى من الميت والميت من الحى .. وهنا أصبح واضحًا لدى العلماء البيولوجيون الآن بأن الموت مخلوق ، وصدق الله العظيم حين قال : ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾[الملك:٢][١] .

والحقيقة أن أنواع الموت التى ذكرناها سابقًا لا إرادة لنا فيها ولا اختيار.. لكننا مخيرون فى نوع آخر من الموت.. ألا وهو موت القلوب.

فكما أن للقلوب والأرواح حياة تكون بالهدى وبذكر الله تعالى والقرآن .. كذلك فإن للقلوب والأرواح موتًا أيضًا يكون بالضلالة

---

(١) مجلة الإعجاز العلمى، العدد العاشر .

والبعد عن الهداية وعدم ذكر الله : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤].

والرسول صلوات الله وسلامه عليه أخبرنا بذلك حين قال "مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكره مثل الحى والميت" (رواه البخارى) .. ويقول أيضًا : "إن المؤمن إذا أذنب ذنبًا كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب ونزع واستعتب صقل قلبه ، وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه ، فذلك الران الذى قال الله تعالى : ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ [المطففين: ١٤]" (رواه الترمذى والنسائى) .

وأود فى الختام أن أؤكد على أن الموت ليس أصيلاً فى هذا الكون ، بل إن الموت سوف يموت يوم القيامة كما يخبرنا رسول الله ﷺ فى حديثه الشريف قائلا " يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، ثم ينادى مناد : يا أهل الجنة ، فيقولون : لبيك ربنا ، فيقال : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ربنا ، هذا الموت . ثم ينادى مناد : يا أهل النار . فيقولون : لبيك ربنا . فيقال لهم : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ربنا هذا الموت . فيذبح كما تذبح الشاه ، ثم يقال للفريقين : خلود ولا موت . فيأمن هؤلاء وينقطع رجاء هؤلاء"[1] .. فهذه هى نهاية الموت .

---

(١) صحيح الأحاديث القدسية .

المقسط

كلنا يحب قراءة سورة الرحمن ، فقد قال عنها رسول الله ﷺ :"لكل شيء عروس وعروس القرآن الرحمن " (رواه البيهقى عن على رضى الله عنه)(١)

وفى سورة الرحمن يتحدث المولى عز وجل عن بديع خلقه ويبشر المتقين بالجنة ونعيمها ، وفيها يحدثنا سبحانه أيضًا عن الميزان فيقول عز من قائل: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٤٩].

فهو تعالى الذى أرسل رسله بالبينات وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط .. ولهذا كانت عبادة الله وحده لا شريك له هى ميزان العدل ، فمن سار على هذا المنهج حافظ بذلك على ميزان العدل وأقام القسط فى الأرض .. ، أما الشرك بالله فهو الظلم العظيم لاختلال ميزان العدل والحق فيه ، فمن كفر أو أشرك بالله فهو بذلك ظالم لنفسه .. أخل بالميزان !!

والله سبحانه وتعالى خلق الكون أيضًا بميزان دقيق للغاية ، فلو تأملنا الكون لوجدنا أن الزوجية فى الخلق هى من سنن الله تعالى فى خلقه ، يقول تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[الذاريات: ٤٩].

فهو سبحانه لم يخلق شيئًا واحدًا ليس له قرين أو شبيه بل خلق الأزواج [من المتشابهات ومن المتضادات] من جميع مخلوقاته .. فخلق الذكر وخلق الأنثى .. خلق السماء وخلق الأرض .. خلق النجوم

(١) الدعاء المستجاب من الحديث والكتاب.

والكواكب .. خلق الماء والتـــــراب .. الجنة والنار .. الملائكة والشياطين.. الليل والنهار .. الحياة والموت .. المد والجزر .. الشتاء والصيف .. الربيع والخريف .. بل ولكل مادة خلق مادة مضادة لها ، ولكل ذرة أيضاً ذرة مضادة حتى فى داخل الذرة خلق الإلكترون السالب والإلكترون الموجب - البوزترون - وداخل النواة خلق البروتون السالب والبروتون الموجب..، وخلق قوى التجاذب وقوى التنافر.. خلق الغنى والفقير ..القوى والضعيف .. المريض والمعافي..، وخلق لنا عينين ويدين ورجلين وأذنين ..

حتى المخ المتحكم فى كل وظائف الجسم وأعضائه وحواسه هو أيضا مكون من فصين ، وجميع العمليات الحيوية فى الجسم هى ما بين هدم وبناء ..أكسدة واختزال .. شهيق وزفير ..

وفى أنفسنا .. يقول تعالى: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** ﴾ [الشمس: ٧، ٨].

فنحن نملك مقومات التقوى ومقومات الفجور .. وعلينا أن نختار، نملك مقومات المحبة والبغضاء .. الرحمة والقسوة .. التسامح والتشاحن .. الكرم والشح .. وعلينا أن نختار ..﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا** ﴾ [الشمس: ٩، ١٠].

وصدق الله العظيم حين قال فى كتابه الكريم : ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [يس: ٣٦].

ولنعود فلنستكمل حديثنا عن نوع آخر من الميزان ألا وهو دورات المياه ، ولنعطى مثالاً على ذلك: فالنبات يقوم بدور مهم جداً لإمدادنا بالأكسجين اللازم لحياتنا عندما يقوم بعملية البناء الضوئى التى يستهلك فيها كمية من غاز ثانى أكسيد الكربون ويطلق كمية من غاز الأكسجين اللازم لتنفس الكائنات الحية جميعها حيث تأخذ الأكسجين وتعطى ثانى أكسيد الكربون الذى بدوره يعود للنبات الذى يستعمله

في عـمليـة البناء الضـوئى من جـديد .. كل هذا بتـوازن دقـيق للغـاية ، وعلى الرغم من مـرور آلاف السـنين على بدء الحيـاة على سطح الأرض وحتى يومنا هذا ، فلا تزال نسبة الأكسجين في الهواء ثابتة وهي ٢١٪، ونسبـة ثانى أكسيـد الكربون فى الهـواء هى أيضًا ثابتـة وهى ٠,٠٣٪ ، وكذلك نسبة بقية الغازات ظلت ثابتة !!

أما جذور النبات فى الأرض فتسحب ٢٤ عنصراً من الأرض وهو نفس عدد العناصـر المكونة لجسم الإنسـان وجسم الحيـوان أيضًا ، ثم بموت كل من الإنسـان والحيـوان والنبـات يعـود كل هذا المخزون إلى الأرض ثـانيـة محـافظًا بذلك على مـيزان الله تعـالى فى خلقه .. فـصدق الحق حين قال: ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ [طه : ٥٥] .

فلكل عنـصـر من عناصـر الأرض دورة حيـاة مـسـتـمـرة تبدأ من حيـث انتهت إليـه ، ولكل نوع من الخلايا فى الجسم عـمـر محـدد ، تموت حين يأتى أجلها لتولد فى الوقت نفسـه خلايا جديدة أخـرى ؛ ولنعطى مثالاً على ذلك خـلايا الدم الحـمـراء ، فـهى تـعـيش مـا بين ٨٠ - ١٢٠ يومًا، تؤدى خـلالهـا عـملهـا دون كلل وعندمـا تهـرم تقوم بتـكسـيـرها خليـة أخـرى تـسـمى بالخـليـة الملتـهـمة وهى خليـة كـبيرة الحـجـم تلتـهم الخلايا الحمراء الهرمـة وغيرها من الخلايا ، وهى تتبع الجهاز (الهادم - البانى) الذى يعتبر الطحال أهم أعضـائه ، وهكذا يتم تكسير ما بين مليونين إلى عشرة ملايين خلية حمراء بواسطة خلايا الجهاز الهادم البانى كل ثانية ، وعلى الرغم من ذلك يظل عدد الخلايا الحمراء فى الدم ثابتًا فى أى وقت ذلك أن أعضـاء الإنتـاج تعـمل فى تناسق بديع مع سـائر الأعـضـاء لحفظ التوازن الحيوى فى الجسم [١] .

مـثـال آخـر ، دورة حـيـاة الماء على سطح الأرض ، فـهـذا بخـار الماء يتـصـاعـد من فـوهات البـراكين ومن تنفس الكائنات الحـية ومن تبخـر

---

(١) مجلة الإعجاز العلمى ، العدد الحادى عشر .

المحيطات والبحار والأنهار إلى طبقات الجو العليا فتتكون منه السحب التى لا تلبث أن تتحول إلى أمطار تسيل فى الوديان والأنهار لتصب بعد ذلك في البحار مرة أخرى .

فما أروعه من ميزان خلقه الله تعالى بعدله وقسطه .

ومن ميزان قسطه أيضاً أنه شرع لنا الشرائع لكى لا يظلم أحد غيره ولا يعتدى أحد على غيره ، وأمرنا عز وجل بأن لا نطغى فى الميزان وبأن نقيم العدل فى الأرض وأن نحافظ على ميزان الله في خلقه ، فمنا من يطيع ، ومنا من يظلم ويجور ويعتدى ويمشى مختالاً فخوراً ، .. وسوف يسير كل منا على الصراط فى الآخرة ليكون مرآة لصراطه فى الدنيا ، فمن حفظ لله ميزانه في الدنيا حفظه الله تعالى على الصراط ، ومن طغى في الميزان انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة .. يقول تعالى : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء :٢٢٧] .

الفاطر

حينما شرعت فى كتابة سلسلة مقالات " الكون يشهد لله بصفاته وأسمائه " آثرت شرح بعض من أسماء الله الحسنى والتى قلما يعلم البعض معناها ؛ ولذا سأتحدث عن اسم الله الفاطر

والفاطر تعنى الخالق والمبدع على غير مثال سبق [1]

ولقد ورد ذكر اسم الله تعالى الفاطر فى القرآن الكريم فى عدة مواضع :

يقول تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الانعام : ١٤]

ويقول عز من قائل: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف : ١٠١].

وفى سورة إبراهيم: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [إبراهيم : ١٠].

وفى سورة فاطر: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر : ١].

---

(١) أسماء الله الحسنى، للدكتور طارق السويدان .

وفي سورة الزمر : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [الزمر ٤٦].

وفي سورة الشورى : ﴿ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١].

* وفطر الخلق أى بدء خلقهم .. وأيضا فطر الشيء أى شقه، يقول سبحانه : ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ [الملك : ٣].

أى : هل ترى من شقوق وصدوع؟!

يقول ابن عباس رضى الله تعالى عنه : لم أكن أعلم المعنى حتى اختصم أعرابيان فى بئر فقال أحدهما : أنا فطرتها. أى بدأ حفرها .. حين ذلك عرفت المعنى .

* ومنه أيضاً فطر النبات أى شق النبات طريقه في الثرى .. لأن الله تعالى هو فالق الحب والنوى ، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾[الأنعام : ٩٥].

فالحبة تسحب الماء من الأرض بقدر قدره الخالق لها فتنقسم الخلايا ليتكون الجذر الذى يشق طرقه بين التراب إلى أسفل وتنقسم خلايا أخرى ليتكون الساق الذى بدوره أيضاً يشق طريقه بين التراب إلى أعلى فتنبت الزروع على اختلاف أصنافها من الحبوب ، والثمار على اختلاف ألوانها وأشكالها وطعومها ﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴾ [عبس : ٢٦-٢٨].

* ومنه أيضا فالق الإصباح ، يقول عز وجل: ﴿ فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [الأنعام . ٩٦].

والمعنى فى تفسير القرطبى[١] : أى شاق الضياء عن الظلام وكاشفه. وفى تفسير ابن كثير : أى خالق الضياء والظلام فهو سبحانه يفلق ظلام الليل عن غرة الصباح فيضيء الوجود ويستنير الأفق .

فالصبح والصباح هو أول النهار وكذلك الإصباح ، فقال المفسرون إن المعنى : شاق بياض النهار عن سواد الليل

كذلك يقول المولى عز وجل فى أول آية فى إحدى المعوذتين: ﴿**قل أعوذ برب الفلق**﴾ [الفلق: ١]. قال ابن عباس رضى الله عنهما بأن الفلق هو الصبح ، ويقول سعيد بن جبير إن كل ما انفلق عن شيء من حيوان وصبح وحب ونوى وماء فهو فلق .

وقال آخرون : الفلق هو الخلق ومعنى الآية أى : قل أعوذ برب الخلق.. وأى معنى من المعانى السابقة يتفق ومعنى اسم الله الفاطر.

* وعن على رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا سجد يقول : "اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت ، سجد وجهى للذى خلقه فصوره فأحسن صوره فشق سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين " (رواه أحمد ومسلم).

فسبحان الذى شق سمعى وبصرى .. فعلماء الأجنة الآن يؤكدون على أن أول مكونات آلة السمع فى الإنسان وهى ما يسمى بالصحيفة السمعية تبدأ فى الظهور فى الجنين فى آخر الأسبوع الثالث من عمر الجنين ومنها تتطور الأذن الداخلية للجنين بعد ذلك ، أما نظيرتها البصرية أو ما يسمى بالصحيفة البصرية فتظهر فى أول الأسبوع الرابع من حياة الجنين ومنها أيضا تتكون العين بعد ذلك [٢].. وصدق الرسول الكريم فى حديثه الشريف الذى رواه مسلم عن حذيفة بن أسيد رضى الله عنه حين قال : " إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة ، بعث الله إليها

---

١) برنامج القرآن الكريم لشركة صخر – الإصدار السابع .

٢) مجلة الإعجاز العلمى، العدد التاسع .

ملكًا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال: يا رب، أذكر أم أنثى ؟ فيقضى ربك ما شاء ويكتب الملك " .

* وسبحان فاطر السماوات والأرض الذى بدأ خلقهما على غير مثال سبق ، .. فلقد حاول الكثير من علماء الغرب فى الآونة الأخيرة الوصول إلى تصور لنشأة الكون ، فحاول البعض القول بأن الكون أزلى ليس له بداية ولا نهاية ، ثم أنكر العديد من العلماء هذا التصور عندما توصل البلجيكى جورج لوميتر عام ١٩٢٧ م إلى نظرية الانفجار العظيم والتى تقول بأن الكون خلق من جرم أولى عالى الكثافة ، عالى الحرارة والجاذبية أيضًا ، وبه كل مادة الكون ، ثم انفجر هذا الجرم وتحول إلى دخان تكونت منه السماوات والأرض. [١]

ويأتى القرآن من قبل ألف وأربعمائة عام ليؤكد هذه الحقيقة فى قول الله عز وجل فى سورة الأنبياء: **﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾**[الأنبياء : ٣٠].

ويفسر ابن كثير[٢] الآية بقوله: أى أن الجميع كان متصلاً بعضه ببعض ، متلاصق ، متراكم بعضه فوق بعض فى ابتداء الأمر ، ففتق هذه من هذه ، فجعل السماوات سبعًا والأرض سبعًا وفصل بين السماء الدنيا والأرض بالهواء ، فأمطرت السماء وأنبتت الأرض، ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ﴾ أى وهم يشاهدون المخلوقات تحدث شيئًا فشيئًا عيانًا، وذلك كله دليل على وجود الصانع الفاعل القادر على ما يشاء.

ويقول ابن عباس رضى الله عنهما فى شرح الآية الكريمة : أى ملتصقتين ففصل الله تعالى بينهما وأن السماوات كانت رتقاء لا تمطر ،

(١) من آيات الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم ، د. زغلول النجار.

(٢) برنامج القرآن الكريم لشركة صخر - الإصدار السابع .

وكانت الأرض رتقاء لا تنبت فلما خلق الله تعالى أهلاً للأرض ، فتق هذه بالمطر وفتق هذه بالنبات

وقال سعيد بن جبير : كانت السماء والأرض ملتزقتين فلما رفع الله السماء وأبرز منها الأرض - أى وضع الأرض - كان ذلك فتقهما .

و قال بعض المفسرين إن السماء كانت واحدة ففتق منها سبع سماوات ، وكانت الأرض واحدة ففتق منها سبع أرضين .

أما أبو إسحاق فقال : كانتا لأنه يعبر عن السماوات بلفظ الواحد أى بسماء واحدة وكذلك الأرض كانتا أرضًا واحدة ، وقال رتقًا ولم يقل رتقين لأنه مصدر ، والمعنى أى كانت ذواتى رتق ، والرتق أى السد هو ضد الفتق وقد رتقت الفتق أى ارتتق أى التأم .

و قال ابن عباس والحسن وعطاء والضحاك وقتادة : إنهما كانتا ملتزقتين ففصل الله بينهما بالهواء .

وقال كعب : خلق الله تعالى السماوات والأرض بعضهما على بعض ثم خلق ريحًا بوسطها ففتحت بها ثم جعل السماوات سبعًا والأرضين سبعًا .

ونلاحظ هنا تكامل تفسير العلماء مع بعضهم البعض جزاهم الله جميعا عنا خير الجزاء .

إذن معنى رتقًا : أى ملتصقتين ، أما معنى ففتقناهما : أى ففصلناهما .

وهنا جاء التعبير القرآنى المعجز أبلغ تعبير عن وصف بداية الكون حيث استخدم العلماء مصطلح الجرم الابتدائي ولكن المولى عز وجل قال : ﴿ كانتا رتقًا ﴾ . لأن الرتق يعنى تعدد الطبقات والعناصر المتجانسة ولكنها شديدة الالتصاق ببعضها البعض حتى تكاد تكون شيئًا واحداً ، وبالتالى جاء هذا الوصف القرآنى المعجز البليغ ، جاء متجانسًا ومتكاملاً مع الآية القرآنية الكريمة : ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا

﴿زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات. ٤٩] . التي جاءت تأكيداً على مبدأ الزوجية في الخلق والتي تؤكد وتثبت وحدانية الله تعالى .

وجاءت هذه الآية الكريمة أيضًا واضحة الدلالة على أن هذا الكون هو كون مخلوق له بداية ونهاية وليس كونًا أزليًا .. بدأ الله تعالى خلقه من هذا الرتق - وهو القادر على أن يقول للشيء كن فيكون - وتسمى هذه المرحلة بمرحلة الرتق ، ثم أمر بفتق هذا الرتق فانفتق - مرحلة الفتق - وتحول إلى غلالة من الدخان - مرحلة الدخان - ثم خلق من هذا الدخان كلاً من السماء والأرض أي جميع أجرام السماء وما ينتشر بينها من مختلف صور المادة والطاقة مما نعلم وما لا نعلم وهي ما تسمى بمرحلة الإتيان بكل من السماء والأرض ولقد جاء وصف هاتين المرحلتين الأخيرتين في قوله تعالى : ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۝ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ . [فصلت: ٩-١١].

ولقد أيد الكثير من العلماء فكرة الانفجار العظيم لعدة شواهد منها نظرية التوسع الكوني والتي تؤكد على أن الكون يتمدد منذ خلقه وذلك عندما لاحظ بعض العلماء أن النجوم والمجرات تتباعد عن بعضها البعض ، وقد فسر العلماء ذلك التوسع بأنه ناتج عن قوة الدفع الهائلة الناتجة عن الانفجار الكبير - مرحلة الفتق - والتي تغلبت على قوة الجاذبية ، ولكن العلماء الآن يؤكدون على أن عملية التوسع الكوني هذه لا يمكن لها أن تستمر إلى ما لا نهاية وذلك لأن قوة الدفع إلى الخارج الناتجة عن الانفجار الكوني هي في تناقص مستمر ، وسوف يؤدي هذا التناقص التدريجي في سرعة توسع الكون إلى الوصول به إلى مرحلة تتغلب فيها قوى الجاذبية على قوى الدفع إلى الخارج ، وحينئذ

يبدأ الكون في الانطواء والانكماش والتكدس على ذاته حتى يعود إلى حالة مشابهة تماماً لحالته الأولى [1]

ولقد تعهد المولى عز وجل في محكم كتابه الكريم من قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام ، تعهد بإعادة السماوات والأرض إلى سيرتها الأولى وذلك في قوله تعالى

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء : ١٠٤].

* ثم تنفجر مرة أخرى وتتحول إلى غلالة من الدخان تخلق منها سماوات غير السماوات وأرض غير الأرض ، وهنا تتوقف رحلة الحياة الأولى وتبدأ رحلة الآخرة ، وفي هذا يقول تعالى: **﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾** [إبراهيم : ٤٨].

حيث يقول عز من قائل في وصف علامات الساعة: **﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ① وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ② وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ③ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ④ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾** [الانفطار: ١-٥].

وانفطرت أى انشقت بأمر ربها ، .. فسبحان فاطر السماوات والأرض الذى بدأ خلقهما للحياة الدنيا ، وسبحان فاطرهما مرة أخرى للدار الآخرة .

وأود أن أختم حديثى هذا فى شرح اسم الله تعالى الفاطر بالآية الكريمة: **﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾** [الروم. ٣٠].

أى: الزم فطرتك السليمة التى فطر الله تعالى الخلق عليها فإنه تبارك وتعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره .

---

(١) من آيات الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم ، د. زغلول النجار .

القيوم

يقول بعض المنكرين لأنعم الله إن الله تعالى خلقنا ثم تركنا نفعل ما نشاء !! ..كيف هذا والله تعالى هو الحي الذى لا يموت .. وهو سبحانه قيوم السموات والأرض ومن فيهن وما فيهن ، وقيومية الله عز وجل تعنى أنه هو وحده القائم على تدبير أرزاق عباده وجميع أحوالهم وهو وحده أيضًا المتحكم فى ملكوته فهو خالق السموات والأرض وهو ممسكهما (١)

يقول تعالى: ﴿ ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ﴾

ويقول سبحانه : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [الروم : ٢٥].

ويأتى العلم الحديث ليشهد بقيومية الله عز وجل على ملكوته فيقول إن لكل مادة يوجد قرين المادة وبالتالى لكل مجرة قرينها والكون الذى نعيش فيه هو أيضًا له قرينه !! وعندما يتفاعل الجسيم مع قرينه أو المادة مع قرينها يبدد كل منهما الآخر ويختفى الاثنان فى شىء يشبه الانفجار متحولين كلاهما إلى طاقة معظمها فى صورة أشعة جاما(٢) .

والسؤال الذى يحير العلماء هو :

ما الذى يمنع المجرة وقرينها أو الكون وقرينه من الاقتراب من بعضهم البعض ومن ثم التبدد والزوال ؟ ولم يجدوا إجابة حتى الآن ولكن نحن كمسلمين نجد الاجابة فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر ٤١].

---

(١) أسماء الله الحسنى ، د . طارق السويدان .

(٢) آيات قرآنية فى مشكاة العلم / د . يحيى المجرى - موقع : tasabeeh.com .

والمعنى للآية في تفسير ابن كثير : أى أنهما بما فيهما من القوة المتماسكة لهما فلا يقدر على دوامهما وإبقائهما إلا هو سبحانه وهو مع ذلك الحليم الغفور.

فنحن عندما نتأمل قصص الأنبياء نجد أن كل نبى يأتى بمعجزة من عند الله تعالى لتكون حجة على قومه. والمعجزة لابد وأن تكون خرقًا لنواميس الكون التى هى من خلق الله عز وجل لأن نواميس الكون ألفها الناس وهى تحكمهم ولا يحكمونها وبالتالى فهم لا يستطيعون السيطرة عليها أو تغييرها أو إبطالها، فالنار مثلا ناموسها الكونى الإحراق فلا يستطيع أحد أن يجلس وسط النيران ولا يحترق ومع ذلك حين أمر المولى النار التى ألقى فيها سيدنا إبراهيم عليه السلام بأن تكون بردًا وسلامًا عليه.. صارت كذلك.

والماء مثلاً ناموسه الكونى الاستطراق فلا يستطيع أحد أن يأتى ويشق البحر ولكن الله تعالى شق البحر لموسى عليه السلام وقومه .

وقوانين الأسباب أن الذى يموت لا يعود إلى الدنيا إلا عند قيام الساعة ولا أحد يستطيع أن يحيى الموتى إلا أن يبعثهم الله تعالى وبالتالى كانت معجزة سيدنا عيسى عليه السلام هى إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله [١]

ولم يألف الناس أن ينشق الجبل عن ناقة عملاقة كناقة سيد صالح.. ولم يألفوا أن تتحول العصا إلى حية حقيقية تسعى كعصا موسى عليه السلام وغيرها من آيات تشهد بقيومية الله على ملكوته.

فلا يوجد حادث فيه إلا بإيجاده ولا يبقى إلا بمشيئته ، فكل شيء إليه فقير.

فهو الصمد الذى تقصده الخلائق كلها فى جميع أحوالها..و هو القريب المجيب الذى يجيب دعوة الداع ودعوة المضطر والمظلوم. وهو

---

(١) السيرة النبوية، لفضيلة الشيخ / متولى الشعراوى .

الرحمن الذى وسعت رحمته كل شىء .. ومن ذا الذى بيده ملكوت كل شىء ، المتصرف فى خلقه بما يشاء من الأمر والنهى والإعزاز والإذلال ..هو الملك الحكم العدل الذى يحكم بين عباده فى الدنيا والآخرة بعدله وقسطه ولا يظلم أحداً ويؤدى الحقوق إلى أهلها لأنه الحسيب الوكيل الذى ما التجأ إليه مخلص إلا كفاه ولا اعتصم به مؤمن إلا حفظه ووقاه ومن يتوكل عليه فهو حسبه .

ومن الذى خلقنا وصورنا فأحسن صورنا ..فهو الخالق البارئ المصور .. الذى خلق كل شيء فقدره فأحسن تقديره فبقدرته أوجد الموجودات لأنه القدير .. وبقدرته دبرها وأحكمها وأتقنها فهو المدبر بديع السموات والأرض.. وهو العليم .. المطلع على جميع الأشياء خفيها وجليها .. وهو الذى لو أتاه العبد بقراب الأرض خطايا ثم لقيه لا يشرك به شيئًا لأتاه بقرابها مغفرة ويقبل التوبة عن عباده لأنه العفو الغفور التواب فالحمد لله الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل.

وهو الذى يرزق خلقه أجمعين ويعينهم على ذلك ويسبب الأسباب فهو الرزاق الذى لا تنفد خزائنه.. الذى رزق السيدة هاجر وابنها الرضيع سيدنا إسماعيل عليه السلام ببئر زمزم فى واد غير ذى زرع حينما تقطعت بهم الأسباب. وهو الوهاب.. الكريم.. الجواد.. الفتاح الذى فتح لعباده أبواب الرحمة والمغفرة والأرزاق وفتح قلوبهم لمعرفته ومحبته لأنه الرب الودود الذى يحب أنبياءه ورسله وأتباعهم ويحبونه.(١)

و هو الحفيظ الذى يرسل حفظة من ملائكته الكرام على من يشاء من عباده ، وهو القائم على حفظ القرآن الكريم إلى قيام الساعة فيقول عز من قائل: ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾. ليكون لنا نوراً نهتدى به لأنه هو سبحانه الهادى الذى يهدى بنوره من يشاء

فالله نور السموات والأرض .. والله متم نوره ولو كره الكافرون .

---

(١) شرح الأسماء الحسنى، للشيخين حافظ حكمى وعبد الرحمن السعدى .

العليم

العلم فى مفهوم البشر هو إدراك الشيء على ما هو عليه بالدليل ، أو هو مقولة مقطوع بصحتها تطابق الواقع وعليها دليل .. فإن لم يكن عليها دليل صارت تقليداً وليس علماً .. وإن لم تكن تطابق الواقع لصارت جهلاً ..أما إن لم يكن مقطوعاً بصحتها صارت وهماً أو شكاً أو ظناً .. فالعلم إذن ليس وهماً ولا شكاً ولا ظناً بل هو قطعي[1].

وعلم البشر - بعضه - مستنبط من الوجود .. من القوانين .. من السنن التى سنها الله عز وجل .. ومن الخصائص التى خصها الله تعالى للأشياء .. فهو علم مكتسب .

أما علم الله سبحانه وتعالى فهو يختلف عن علم البشر ، ذلك أن علم الله تعالى هو الذى قنن القوانين .. هو الذى سن السنن .. هو الذى خصص الخصائص .. فهو علم سابق للوجود .. أما علم البشر فهو لاحق للوجود .

و قد جاء فى الحديث القدسى الذى رواه عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن أول ما خلق الله القلم فقال : اكتب . فقال : ما أكتب ؟ قال : اكتب القدر ، ما كان وما هو كائن إلى الأبد " . (أخرجه الترمذى وأبو داوود)[2] .

وأول علم للبشر كان من لدن الله العليم الحكيم ، فالله سبحانه وتعالى عندما خلق آدم عليه السلام ، شرفه بأن جعله عالمًا ؛ ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ

---

(١) أسماء الله الحسنى ، للشيخ : محمد راتب النابلسى.

(٢) صحيح الأحاديث القدسية .

﴿الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة : ٣١].

و يقول تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الإِنسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن : ١- ٤].

وقال عز من قائل : ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق : ٣ - ٥].

وهنا لابد من القول بأننا لا يجوز لنا أن نسمى الله باسم المعلم وعلى هذا أجمع علماء الأمة ، ذلك لأن أسماء الله تعالى توقيفية بمعنى أنه لا يجوز أن نذكر منها إلا ما ورد ذكره منها فى القرآن أو فى السنة أو ما أجمعت عليه الأمة .

منزلة العلماء

الله سبحانه وتعالى دعانا إلى العلم ورفع من قدر ومنزلة العلماء فقال : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر ٩].

وقال تعالى أيضًا : ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة : ١١].

ولقد حثنا رسولنا الكريم ﷺ على طلب العلم ، فعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " من سلك طريقًا يبتغى فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما صنع ، وإن العالم ليستغفر له من فى السماوات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر " (رواه أبو داود والترمذى) [(١)].

---

(١) رياض الصالحين للإمام النووى.

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع " (رواه الترمذى)[1] .

ويظل الإنسان يتعلم طوال حياته ، يقول تعالى : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه : ١١٤] ، حتى إن بعض العلماء قالوا إن من ظن أنه علم فقد جهل لأن كل عالم هو طالب علم لايزال .

والإنسان يعلم بقدر ما قدر له الله تعالى أن يعلم .. يقول تعالى : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة : ٢٥٥]، وتفسير الآية فى تفسير ابن كثير : أى لا يطلع أحد على شىء من علم الله إلا بما أعلمه الله عز وجل وأطلعه عليه .

و يقول تعالى : ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف : ٧٦].

فكل علم وصل إليه الإنسان هو بإذن ربه : ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن : ٣٣].

ومعنى الآية فى تفسير ابن كثير[2] : أى لا تستطيعون هربًا من أمر الله وقدره بل هو محيط بكم لا تقدرون على الهروب منه أينما ذهبتم أحيط بكم ، وقال بعض المفسرين أى لا تنفذون إلا بسلطان العلم الذى يتكشف لدينا بأمر الله تعالى .

علم الله لأنبيائه وعباده الصالحين

إذن فكما ذكرنا سابقًا فإن أول علم للإنسان هو العلم الذى علمه الله سبحانه وتعالى لآدم عليه السلام ومن بعده الأنبياء والرسل جميعهم ، فكل منهم كان يأتيه علم من الله عن طريق الوحى .

فهذا نبى الله إدريس عليه السلام يبعث الله عز وجل إليه ملكًا

---

(١) رياض الصالحين للإمام النووى.

(٢) برنامج القرآن الكريم ، الإصدار السابع لشركة صخر .

يعرفه الفلك ودورانه ومنازل الشمس والقمر ، فكان عليه السلام أعلم أهل الأرض بالنجوم وجريان الأفلاك ، ويقال إنه أول من قدر الساعات والدقائق وعرف تقسيم الدقيقة إلى ثوانٍ [1] .

كذلك علم الله تعالى لسيدنا يعقوب عليه السلام ، يقول تعالى : **﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾** [يوسف : ٦٨] . وعلم الله تعالى ليوسف عليه السلام أيضا : **﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾** [يوسف : ١٠١] . وتأويل الأحاديث في تفسير ابن كثير أى : تعبير الرؤيا وتفسيرها .

وهذا أيضًا نبى الله داود ، فقد جمع الله له بين النبوة والملك والجنود وما منحه من صوت عظيم فقد كان إذا سبح تسبح معه الجبال الراسيات الشامخات وتقف له الطيور الغاديات وتجاوبه بأنواع اللغات ، كذلك مكنه ربه من إلانة الحديد فهوعليه السلام لم يكن يحتاج إلى النار لصهر الحديد بل كان يفتله بيده مثل الخيوط .

ومن بعده سليمان عليه السلام : **﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ﴾** [النمل:١٦] . والمقصود بالميراث هنا هو الملك والنبوة وليس المقصود هو المال ذلك لأن الأنبياء لا تورث أموالهم .

وفي سورة النمل يقول تعالى : **﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾** [النمل :١٥] وعلى لسان سيدنا سليمان جاء في القرآن الكريم : **﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾** [النمل ١٦].

---

(١) قصص الأنبياء ، حسين عبد الحميد .

كذلك أخبرنا ربنا تبارك وتعالى فى كتابه الكريم عن علمه الذى آتاه لبعض عباده الصالحين ، فأشار إلى قصة الخضر عليه السلام - وهو ليس نبيًّا من أنبياء الله - مع سيدنا موسى عليه السلام وهو النبى والرسول الكريم بل ومن أولى العزم من الرسل الذى أوحى الله تعالى له بأن يذهب باحثًا عن عبد الله الذى آتاه الله رحمة وعلمًا لينهل من بعض علمه وفى ذلك يقول المولى عز وجل : ﴿ **فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا** ﴾ [الكهف . ٦٥].

وفى نفس السورة وردت أيضا قصة ذى القرنين ذلك الملك الصالح الذى أعطى العلم والحكمة من لدن ربه الكريم : ﴿ **إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا** ﴾ [الكهف : ٨٤]. و﴿ **سببًا** ﴾ فى قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وغيرهم أى : علمًا . وأضاف آخرون قولهم: أى : تعليم الألسنة فكان لا يغزو قومًا إلا وكلمهم بلسانهم .

وفى سورة النمل يحكى القرآن الكريم لنا قصة سيدنا سليمان عليه السلام مع عرش بلقيس ملكة سبأ فيقول تعالى على لسان سليمان عليه السلام : ﴿ **قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ** ﴾[النمل٣٨-٤٠] ، ولقد أجمع أكثر المفسرين على أن الذى عنده علم من الكتاب هو رجل من الإنس يسمى آصف وهو كاتب سليمان وقد كان صديقًا وكان يعلم اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى ، فدعى الله تعالى به فجيء بالعرش ، وقال آخرون بأنه هو سليمان عليه السلام نفسه وقد استدلوا على ذلك بقول سليمان: ﴿ **قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ** ﴾ .

إذن فهناك من العلم ما يمكن الإنسان من فعل أشياء لا يمكن للعقل البشرى أن يتصورها ، ولكن هذا ليس متاحًا إلا لمن خصه الله سبحانه وتعالى بهذا العلم [١].

أما علم خاتم الأنبياء والرسل سيدنا محمد ﷺ ، فالبعض يتساءل : لماذا كان النبى ﷺ أميًا والأمية صفة نقص فى حق البشر ؟

والجواب : نعم الأمية هى فى حق البشر صفة نقص ، ولكنها فى حق رسول الله ﷺ هى صفة كمال وهى من دلائل نبوته لأنه تنزه عن علم البشر فعلمه من لدن الله العليم الحكيم .. فحينما نزل عليه جبريل عليه السلام فى غار حراء لأول مرة ، كانت أول آية أنزلت عليه هى : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ . أى أن هذا النبى الأمى الكريم الذى لا يقرأ سوف يقرأ ولكن باسم ربه الذى خلق .. هذا النبى الكريم الذى لا يعلم سوف يعلم ولكن من قبل ربه العظيم الذى علم الإنسان ما لم يكن يعلم .. فمن علم محمدًا ﷺ أخبار الأمم السابقة والأمم اللاحقة .. من أخبره عن السماء والطارق .. عن الخنس الجوارى الكنس .. عن الجبال الأوتاد .. عن الأمواج الداخلية فى البحار والمحيطات والرياح اللواقح للسحاب .. عن أطوار الخلق فى الأجنة .. وغيرها وغيرها ، فالقرآن الكريم كله معجز بيانًا وبلاغة وتصويرًا وعلمًا وتاريخًا وتشريعًا ، ليكون معجزة باقية لكل الأزمنة وللبشرية جميعها لأنه معجزة خاتم الأنبياء والرسل المبعوث للبشر أجمعين .

إذن فكل منا لديه علم موروث من العلم الذى علمه الله تعالى لآدم عليه السلام ، ومن بعده للأنبياء والرسل جميعهم .. وأعظم علم علمه الله تعالى لأنبيائه ورسله وخلقه أجمعين هو علمه عن ذاته سبحانه وتعالى ، وبأنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، كذلك إخبارنا باليوم الآخر وبأن كل إنسان سوف يحاسب وتوزن أعماله وبأن هناك ثوابًا

---

(١) الحياه والموت ، للشعراوى .

وعقاباً ، فلا نأتي متعجبين بعد ذلك حين نرى في آثار بعض الحضارات القديمة نقوشاً للبعث والحساب والميزان والثواب والعقاب .. بل وللسماوات السبع والأفلاك ، ثم ندعي أنها من اجتهاد البشر ، ونتناسى أنها من بقايا العلم الذى علمه الله تعالى لأنبيائه ورسله ولكن حرف بعضه بمرور الزمن كما حرفت الرسالات السماوية السابقة .

الله العليم

الله سبحانه وتعالى وسع كل شيء علماً .. فهو العالم بما كان وبما يكون قبل كونه .. ولا تخفى عليه خافية .. فنحن إذا تحيرنا فى أمر صلينا صلاة الاستخارة ، فندعو الله تعالى ونستخيره بعلمه لأنه هو الذى يعلم غيب السماوات والأرض ويعلم الظاهر والباطن وما نبدى وما نخفى .

وعلم الله تعالى أزلى سابق للوجود ، يقول تعالى: **﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾** [الحديد : ٢٢].

فكل أحداث الكون قبل أن تحدث كانت مكتوبة عند الله سبحانه وتعالى قبل أن تقع وهذا دليل على إحاطة علم الله تعالى.

وعليم هي صيغة مبالغة على وزن فعيل للدلالة على كمال علم الله عز وجل، والله سبحانه وتعالى وصف لنا علمه في القرآن الكريم في عدة آيات فقال تعالى: **﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾** [لقمان : ٣٤].

وقال تعالى: **﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾** [فاطر : ١١] . فهذه الآيات محورها

الرئيسي هو إثبات العلم لله تعالى .

والله سبحانه وتعالى أيضاً هو عالم الغيب والشهادة ..

ونحن نفهم معنى عالم الغيب ولكن ما معنى عالم الشهادة ؟

فنحن نرى الشيء ونستخدم جوارحنا للتعرف عليه ولكننا لا نرى ولا نعلم كل تفاصيله لأن جوارحنا محدودة ، فإذا نظرت أنت إلى شيء هل ترى كل ذراته مثلاً ، هل ترى حركة الإلكترونات والجزيئات بداخله ..

بل والأعجب من هذا أن كل ما نراه في صفحة السماء ليس الحاضر بل هو من الماضي !! فصورة الشمس التي نراها هي الصورة التي كانت عليها منذ ثمان دقائق وكذلك النجوم التي نراها هي ليست نجوماً حقيقية ولكن ما نشاهده هو ضوء نجم كان في هذا الموقع منذ سنوات عدة وربما يكون هذا النجم قد مات الآن ! [1] فنحن لا نعلم إلا أقل القليل ، ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء . ٨٥].

والله تعالى هو العلام وهي أيضا صيغة مبالغة على وزن فعال للدلالة على كمال علم الله عز وجل فهو عز وجل علام الغيوب .

و هو الأعلم ، يقول تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القلم : ٧] . فهو وحده الأعلم بنا من أنفسنا : ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً ﴾ [الإسراء : ٢٥]. ويقول تعالى : ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه ٧٠]. ويخبرنا ربنا تبارك وتعالى هنا بإحاطة علمه بالجهر من القول ، وبالسر ، بل وبالأخفى من السر !

فنحن نعلم أن الجهر هو ما أعرفه عن نفسي ويعرفه الناس .. والسر هو ما أعرفه عن نفسي ولا يعرفه الناس .. إذن يبقى ما لا أعرفه عن نفسي ولا يعرفه الناس وهذا هو المقصود بـ ﴿ أَخْفَى ﴾ في الآية

---

(١) إعجاز القرآن ، للدكتور طارق السويدان.

الكريمة.. فالله سبحانه وتعالى يعلم كل هذا .. يعلم الجهر من القول ويعلم السر ويعلم الأخفى من السر .

يقول ابن عباس رضى الله عنهما : السر هو ما أسر ابن آدم في نفسه، وأخفى هو ما خفى على ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعلمه. وقال مجاهد : أخفى يعني الوسوسة . وقيل: السر هو العزيمة وأخفى هو ما يخطر على القلب ولم يعزم عليه .

وكل اجتهادات علماء المفسرين السابقة - جزاهم الله عنا خيراً - تتفق مع ما يسميه علماء النفس الآن باسم اللاشعور أو العقل الباطن والذى انتبه إليه أحد علماء النفس فى مطلع القرن العشرين منذ أكثر من مائة عام فقط واعتبر ذلك حينها كشفًا علميًّا كبيراً وهو الذى ورد ذكره في القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان باسم ﴿أَخْفَى﴾ ، هذا ما ذكره د . ميسرة طاهر أستاذ علم النفس بجامعة الملك عبد العزيز فى بحثه الذى نشره بمجلة الإعجاز العلمى العدد التاسع تحت عنوان «الأخفى والسلوك قائلاً : إن ٦٠ ٪ من سلوكنا اليومى من أفعالنا وأقوالنا مصدرها هو الأخفى بمعنى أننى لا أعرف السبب الحقيقى لحوالى ٦٠ ٪ من سلوكى اليومى ولكننى إذا سئلت لماذا فعلت أمراً ما فسيكون عندى مبرر عقلى أستطيع أن أقدمه إلا أن السبب الحقيقى لذلك السلوك يبقى كامنًا فى أعماقى أى فى الأخفى .. فى المكان الذى لا أعرفه .

اقتران العلم بالرحمة

لقد اقترن العلم بالرحمة في عدة مواضع من كتاب الله عز وجل كما فى قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧] . وقوله عز وجل : ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[الكهف:٦٥].

ويقول عز من قائل : ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ٥٢] والحكمة من هذا الاقتران - كما يقول لنا ابن قيم الجوزية رحمه الله - هى أن العلم لابد له وأن يقترن بالرحمة وإلا كان سبباً فى الفساد فى الأرض ..

فنحن لا نريد علماً يدمر .. نحن نريد علماً لعمارة الأرض .. علماً يسمو بنا .. لنستحق أن نكون من ورثة الأنبياء .

تأملات

من هم النجوم فى حياتنا ؟

نراها من بعيد .. تتلألأ .. تضيء ليلنا .. إنها النجوم التى خلقها الله سبحانه وتعالى فى صفحة الكون . لقد اكتشف العلماء أن النجوم تتخلق فى السماء ، ويتخلق النجم داخل كتلة هائلة من الدخان تسمى السديم بعد أن تتكثف مادة هذا الدخان فى مراكز معينة به ثم تبدأ عملية اندماج نووى يتخلق بعدها النجم يكون فيها عبارة عن كتلة غازية ، وباستمرار عملية الاندماج النووى تتأجج هذه الكتلة ويصبح لها ضوء وحرارة .. هذا هو النجم البعيد فى السماء .

والبدو فى الصحراء يسترشدون بالنجوم لمعرفة وجهتهم ، يقول تعالى : ﴿**وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**﴾ [النحل ١٦] .

والنجوم لها دور مهم أيضًا فهى مراكز لتخليق كافة العناصر كالذهب والفضة والحديد والنحاس .. حتى أن العلماء اكتشفوا مؤخرًا نجمًا تحول بكامله إلى كتلة من الماس !

وفى الأمثال قالوا .. الناس معادن .. فمنهم الرخيص ومنهم النفيس ومنهم الكريم ومنهم من له بريق الماس وصلابة الحديد !!

والنجم يكون فى أغلب دورة حياته نجمًا عاديًا ؛ ثم يتحول إلى نجم أحمر قزم ثم أبيض قزم ثم بنى قزم ثم إلى نجم مستعر أو غير مستعر ثم نجم نيوترونى أو ما يسمى بالثقب الأسود ؛ وهو حالة من المادة عالية الكثافة يبتلع فيها النجم كل ما يصل إليه من صور المادة والطاقة ويبتلع حتى ضوءه، ويظل هكذا حتى يصل إلى كتلة حرجة ينفجر بعدها ويتحول إلى دخان إلى حيث بدأ .. ثم تبدأ دورة حياة

نجم آخر من جديد [1]

والناس نجوم أيضًا .. فالرسل والأنبياء نجوم .. بعثهم الله تعالى لهداية الناس إلى طريق الرشد .. يأتى من بعدهم الشهداء والصديقون.. نجوم أيضًا فهم أفنوا حياتهم دفاعًا عن دينهم .. ثم العلماء والدعاة إلى الله والمتحابون فى الله .. كلٌ نجم فى مكانه

أما من يصل به الغرور والتكبر إلى منتهاه .. ويقول كما قال فرعون : أنا ربكم الأعلى .. ويصبح كالثقب الأسود.. يبتلع كل من حوله .. فهى النهاية الحتمية .. ينتهى .. ليولد نجم صغير !

---

(١) محاضرة للدكتور زغلول النجار.

أطواراً .. وليس تطوراً

كنا ونحن طلبة في المرحلة الثانوية ندرس في مادة الأحياء علم التطور بنظرياته العديدة منها على ما أذكر : أن الإنسان أصله قرد ، وأن البقاء للأصلح ، وأن الكائنات بدأت بخلية واحدة خلقت وتطورت بعد ذلك عشوائياً .. ! !

والحقيقة أنني أردت من الكتابة عن هذا الموضوع أن نضع ضوابط شرعية مدعومة بأدلة علمية بخصوص هذا البحث حتى تتضح الرؤية ويزول اللبس .

بداية أود أن أتحدث عن العلماء المؤيدين لنظرية التطور وهم ينقسمون إلى قسمين :

* قسم يقبل هذه النظرية على أساس أن الصدف العشوائية نجحت في تكوين الخلية الأولى الحية ، ثم بدأت آلية التطور بالعمل ، ويندرج معظم علماء التطور والفلاسفة والمفكرين الملحدين في هذا القسم ، .. فهم ينكرون وجود الخالق ، والعياذ بالله ، وهم يريدون إثبات ذلك لأنفسهم حتى لا يتحملوا مشقة التكاليف والعبادة لهذا الخالق - كما يظنون - وهم إن عرفتهم لوجدتهم أكثر الناس شقاء .

* أما القسم الآخر - وهم فئة قليلة من علماء التطور والمفكرين والفلاسفة- فيرون أن التطور هو أسلوب الخلق لدى الخالق ؛ أي أن الله تعالى هو الذي وضع قوانين التطور وآلياته ، وهو الذي يوجه هذا التطور في جميع المخلوقات . فكما يوجه تطور الجنين في رحم الأم كذلك يطور مخلوقاته حسب قوانين دقيقة موضوعة من قبله ، ويدعي هؤلاء أن

الإيمان بالتطور على هذا النحو لا يصادم الإيمان بالله ولا ينفيه، ولكن الأمر الذى ينسونه أن هذه النظرية ليست صحيحة من الناحية العلمية، وأن ثمة فرقًا بين أطوار الخلق - وهى سنة من سنن الله تعالى فى الخلق - وبين تطور المخلوقات .

* **فأما القسم الأول** من مؤيدى النظرية ، فهؤلاء لن ندخل معهم فى جدال طويل لأن القضية محسومة ، فالعشوائية لا يمكن لها أن تخلق من عدم ، وهى كذلك لا يمكن لها أن تأتى بخلق منتظم .. دقيق .. ثابت .. مستقر .. ، فلكل جنس من الأجناس خواص وصفات وشكل خاص به يميزه عن غيره ... ، فكيف للعشوائية أن تأتى بذلك ، فهى تخضع لملايين بل لمليارات الاحتمالات ولا يمكن لها أن تأتى بهذه الدقة فى الخلق ، ثم إنهم لا يملكون الدليل على ذلك .. ولكننا نحن المسلمين نملك الدليل فى القرآن الكريم - الذى تعهد الله تعالى بحفظه من التحريف - ودليلنا قول الحق تعالى: ﴿ **ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ** ﴾ [غافر : ٦٢].

وكفى بالله شهيدا .. فهو خالق كل شىء من العدم .. وهو الذى أتقن كل شىء صنعه .. فتبارك الله أحسن الخالقين .

* وأما القسم الآخر منهم .. ممن يؤمنون بوجود الخالق .. ، فهؤلاء لنا معهم وقفات .

وبداية نتحدث عن بداية الخلق ، يقول تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [الأنبياء : ٣٠].

ويقول جل وعلا: ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا** ﴾ [الأعراف : ٥٤].

فهذه هى البداية .. بداية خلق السماوات والأرض .. ﴿ كَانَتَا رَتْقًا ﴾ .. وهو التعبير القرآنى المعجز للتعبير عن تكدس وتجمع كل

صور المادة والطاقة مع بعضها البعض ، ثم بعد ذلك حدث فتق لهذا الرتق وهو ما يسميه العلماء الآن بالانفجار العظيم - BIG BANG- ومنه خلقت السماوات والأرض.

أما بداية خلق الإنسان فكانت من تراب خلط بماء فصار طينًا ﴿ طين لازب ﴾ كما ورد ذكره في القرآن الكريم أي تميز بخاصية اللزوجة ثم تغير الطين إلى ﴿ حمأ ﴾ ثم إلى ﴿ صلصال كالفخار ﴾ ثم صوره المولى فأحسن صوره ثم نفخ فيه الروح فكان خلق أبينا آدم عليه السلام ، ومنه جاءت ذريته جميعها من نطفة ثم من علقة ثم مضغة .. ثم يصير طفلاً .. يقول تعالى : ﴿ **مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا** ﴾ [نوح : ١٣، ١٤].

فهذه سنة الله تعالى في خلقه ﴿ **فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً** ﴾ [فاطر : ٤٣].

وهنا لابد من الإشارة إلى عدة نقاط مهمة :

١- الله سبحانه وتعالى الذى خلق كل شيء من عدم ، قادر على أن يقول للشيء : كن . فيكون ؛ ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾ [يس : ٨٢].

ونحن رأينا ذلك في قصص الأنبياء ، فجميع المعجزات جاءت خرقًا لقوانين الأسباب .

٢- الله سبحانه وتعالى فعال لما يريد .. فالأدب مع الله يقتضى ألا نسأل لماذا فعل هذا .

٣- حكمة الله تعالى في أطوار الخلق هي أن نعلم يقينًا بأن الله تعالى كما بدأ الخلق فهو وحده مفنيه ، أى كل خلق له بداية وسوف يكون له نهاية بقدر الله ، وهذا الشعور يعمق فينا الإيمان بالآخرة وكذلك يقوى الصبر فينا حين نعلم أن لكل شيء أوانًا .

تحدثنا عن بداية الخلق ، وكيف اقتضت سنة الله تعالى في خلقه أن

يكون الخلق فى أطوار ، ولكن ما الفرق بين هذا وبين ما تنص عليه النظرية ؟

وقبل الإجابة عن هذ السؤال سأعرض ملخصاً لمقال نشر على موقع islamonline.net ، بقلم : أورخان محمد علي ، تحدث باستفاضة فيه عن فرضية التطور وكيف أنها تتعارض مع قوانين علم الفيزياء قائلاً :

"لقد عُقد فى السنوات العشرة الأخيرة فقط ما يزيد على مائتى مناظرة فى الجامعات وفى محطات التلفزيون الأمريكية بين أنصار التطور Evolution وأنصار الخلق Creation ، وسُجلت هذه المناظرات على أشرطة الفيديو كما طُبعت أيضًا ، وكانت مفاجأة للكثيرين عندما فاز أنصار "الخلق" فى جميع هذه المناظرات تقريباً ؛ فالأدلة العلمية ضد فرضية التطور كثيرة وعديدة ، إلا أن أهم دليل علمي شهروه في وجه التطوريين هو قانون من أهم القوانين الفيزيائية ، وهو القانون العام للحركة ؛ فكان الفيصل الحاسم فى مجرى المناظرات .

تقول فرضية التطور : إن الكون كان فى حالة بدائية –حالة سديم وغازات حسب النظريات القديمة ، أو فى حالة "حساء كونى" حسب أهم نظرية حديثة ، وهى نظرية الانفجار الكبير BIG BANG ، وبعد انفجار كبير حدث فى هذا الحساء الكونى (الذى هو خليط من المادة والطاقة) المتركز بشكل كرة صغيرة كثيفة جداً تشكلت أجزاء الذرة أولاً ، ثم الذرات ، ثم الجزيئات ، وبمرور الزمن تحولت تلك الوحدات إلى حالة مركبة ومعقدة من جهة وإلى نظام دقيق كل الدقة . أى تحول الكون من الفوضى إلى النظام ، ومن البساطة إلى تركيب معقد ، وذلك بفعل المصادفات العشوائية ضمن بلايين السنين من عمر الكون .

فالتطور من وجهة نظرهم لا يعنى تطور الإنسان وجميع المخلوقات الأخرى من كائن ذى خلية واحدة ؛ إنما يعنى شيئاً أشمل من هذا بكثير ؛ فهو يعنى تطور الكون منذ نشأته وحتى وصوله إلى وضعه

المعقد والمنظم جداً، وأن التطور قطع شوطًا كبيراً في كوكبنا بنشوء الحياة وظهورها، ثم سارت هذه الحياة في درب التطور حتى ذروته بظهور الإنسان والمخ الإنساني الذي هو في ذروة التطور والتعقيد.

ولكن لعلم الفيزياء نظرة أخرى معاكسة تماماً لهذه النظرة:

فالقانون الأول والثاني للديناميكا الحرارية -التي تعد أشمل قانون في الكون، إذ لم يعد هناك شيء خارج نطاقها- ينصان على أنه "لا يمكن خلق ولا إفناء المادة أو الطاقة، ولكن يمكن تحويلهما من شكل إلى آخر"، كما أنه "لا توجد هناك عمليات تحول في الطاقة دون أن يتحول جزء من الطاقة إلى شكل لا يمكن الاستفادة منه"، أي لا بد من ضياع جزء من هذه الطاقة.

ولكي يستطيع العلماء شرح مفهوم النظام أو الفوضى في الكون أو في أي منظومة (system) استعانوا بمصطلح الإنتروبيا Entropy؛ فالإنتروبيا تشير إلى مقدار الفوضى، أي إلى مقدار الطاقة التي لا يمكن الاستفادة منها. لذا يعرّف القانون الثاني للديناميكا الحرارية بأنه "قانون زيادة الإنتروبيا"؛ حيث يؤكد هذا القانون على أن جميع التغيرات والتبدلات الحادثة والجارية في الكون تسير نحو زيادة "الإنتروبيا".. أي نحو زيادة الفوضى ونحو زيادة التحلل والتفكك.. أي أن الكون يسير نحو الموت، والفيزيائيون يقولون: "إن الكون يسير نحو الموت الحراري". ذلك لأن انتقال الحرارة من الأجسام الحارة (من النجوم) إلى الأجسام الباردة (الكواكب والغبار الكوني مثلاً) سيتوقف يوما ما عندما تتساوى حرارة جميع الأجرام والأجسام في الكون.. في هذه الحالة يتوقف انتقال الحرارة بين الأجسام؛ أي تتوقف الفعاليات بأجمعها.. وهذا معناه موت الكون.

إذن فهناك تناقض تام بين النظرتين:

تقول فرضية التطور بأن التغيرات والتبدلات الحاصلة في الكون

دى إلى زيادة التعقيد وإلى زيادة النظام، أى أن هناك تطوراً متصاعداً ى أعلى وبوتيرة مستمرة.

أما علم الفيزياء فيقول بأن جميع التغيرات والتبدلات الجارية فى كون تؤدى إلى زيادة "الإنتروبيا" ؛ أى إلى زيادة الفوضى والتحلل التفكك.. أى يسير إلى الموت، وأنه لا توجد أى عملية تلقائية تؤدى ى زيادة النظام وإلى زيادة التعقيد والتركيب.

ويتبين من هذا أن الزمن عامل هدم وليس عامل بناء كما يزعم لتطوريون.

هذا ما تم نشره على الموقع بإيجاز.

ومن هنا نستطيع أن نوضح الفرق بين الأطوار والتطور:

فكما أشرنا سابقاً إلى أنه كما أن لكل شيء بداية.. فإن له نهاية، والله سبحانه وتعالى كما أشار لنا فى كتابه العزيز إلى أطوار بداية الخلق.. ؛ فإنه أيضاً أشار إلى أطوار نهاية الخلق فقال عز من قائل: **﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾** [غافر: ٦٧].

قال المفسرون: إن بلوغ الأشد فى الأصل هو الانتهاء إلى حد القوة وذلك وقت انتهاء النمو وغايته وقوله تعالى: **﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾** [الأحقاف: ١٥]، فهذا أقصى نهاية بلوغ الأشد، تبدأ قوة الجسم بعدها فى النقصان بتقدم العمر.. يقول تعالى: **﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ﴾** [يس: ٦٨]. (١)

كذلك فإن هناك نهاية للسماوات والأرض، يقول تعالى: **﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾** [الأنبياء: ١٠٤].

---

(١) مجلة الإعجاز العلمى، العدد الثاني عشر.

إذن فأطوار الخلق ليست تسير دائمًا فى اتجاه التعقيد والدقة إلى الأبد كما يزعم مؤيدو تلك النظرية ولكنها تسير فى هذا الاتجاه إلى أجل مسمى فقط ، ثم تبدأ بعدها فى الانتكاس ثم الهلاك .

وعلى هذا ؛ فإننا نستطيع القول الآن بأن فرضية التطور تصادم العلم فى صميمه ؛ إذ لا يمكن حدوث أى تطور نحو الأفضل تلقائيًّا فى عالم يسير فى جميع فعالياته وحركاته وتبدلاته نحو التفكك والانحلال .

وصدق الله العظيم حين قال فى كتابه الكريم : ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ [القصص : ٨٨] .

الإنسان والكون

اليوجا . .البيوجيومترى . .الريكى ؛ وغيرها من الأساليب العلاجية والتى تعتمد أساسًا على علاقة الإنسان بالكون ، وعلى أن الطاقة الكامنة بداخل كل إنسان فينا ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالطاقة الكونية المحيطة بنا سواء أكانت طاقة منبعثة من الأرض - أو أمنا الأرض كما يسمونها - أم طاقة كونية محيطة بنا .

والحقيقة أن العلم الحديث يؤكد لنا هذا ؛ وأننا نتأثر بكل ما يحيط بنا من صور الطاقة والعكس صحيح أى أننا نؤثر فيما حولنا من صور الطاقة أيضًا ؛ والأمثلة على ذلك كثيرة فالعلم أثبت أن الجنين فى بطن أمه يتأثر بالضوضاء والموسيقى، والنبات أيضًا . . حتى النبات يتأثر بغياب صاحبه عنه وحتى بحالة صاحبه الصحية والمزاجية !!

وفى محاولة لتفسير ذلك قال العلماء إن كل إنسان منا تحيط به طاقة ما ، وهى إما أن تكون إيجابية - تؤثر بالإيجاب على من حولها - عند الإنسان القوى المعافى المتفائل ، أو أن تكون سلبية عند الإنسان الضعيف المتشائم

والحقيقة أننى تأملت كثيراً هذه المقولة واستشعرت فهمًا حقيقيًا لأشياء تحدث لنا فى حياتنا ولا نجد لها تفسيراً فقلت لعل هذا يفسر شعورنا بالراحة فى مكان ما أو بانقباض صدورنا فى أماكن أخرى أو بالشعور بالتآلف والمودة لأناس ما عن دونهم دون سابق معرفة . .

ويفسر ذلك أيضًا حث رسولنا الكريم ﷺ الدائم لنا على المحافظة على روح الجماعة ، وقوله ﷺ : "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا" .

نعم .. نقوى .. ونثبت بعضنا بعضًا فالمؤمن إنسان قوى .. حسن الظن بالله تعالى .. كله أمل فى رحمة الله وعفوه ؛ والمؤمن يستمد أمله من حسن ظنه بالله تعالى .. إذن ، فالأمل موجود لأن الله تعالى حى قيوم باق لا يموت.

والمؤمن يستمد قوته من الله تعالى ؛ فنحن عندما نتضرع إلى الله تعالى بالدعاء نرفع أيدينا نحو السماء وتخضع حواسنا وتسجد كل خلية فينا لله عز وجل ونستشعر حلاوة الإيمان بداخلنا وبنور الله يملأ قلوبنا وفى الحديث الشريف : "اللهم اجعل فى قلبى نوراً وفى لسانى نوراً وفى سمعى نوراً وعن يمينى نوراً وعن يسارى نوراً ومن فوقى نوراً ومن تحتى نوراً ومن أمامى نوراً ومن خلفى نوراً واجعل لى فى نفسى نوراً وأعظم لى نوراً" (رواه أحمد والبخارى ومسلم والنسائى) .

وفى دراسة قام بها فريق عمل طبى بأبحاث قرآنية فى (عيادات أكبر) فى مدينة بنما سيتى بولاية فلوريدا وقدم هذا البحث فى المؤتمر العالمى الثالث للطب الإسلامى المنعقد فى استنبول - تركيا ؛ أثبتت أن قراءة القرآن تزيد وتقوى من طاقة الإنسان الإيجابية وتحسن من وظائف الجسم المختلفة.

فسبحان القائل فى كتابه الكريم : **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾** [الرعد : ٢٨].

هذا هو المؤمن الحق .. إنسان قوى .. يصبر ويحتسب .. يؤثر فيمن حوله؛ فالمؤمن حين يزور مريضًا يشد من أزره ويبث فى نفسه الأمل فى الشفاء ولهذا كان لزيارة المريض الأجر العظيم..، والإنسان عندما يجلس مع أناس مؤمنين يسعد بهم ويعم الخير عليه وفى الحديث القدسى : " لا يشقى بهم جليسهم " .

فنحن خلقنا لعبادة الله الواحد القهار ولعمارة الأرض ؛ والله تعالى خلق الكون بنظام دقيق ، فنحن إن التزمنا بمنهج الله كان الكون كله بما

فيـه من كـائنـات وجـمـادات فى تـناغـم وتوافق ، وإن لـم نلـتـزم فيـحدث تنافر بيننا وبين مـا حولـنا من صور الطاقة ؛ ولعل هذا يفسـر ما يحدث للأرض من زلازل وبراكـيـن في بلاد لأناس عـصـوا الله وتجـبروا ، قـال تعالى : ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾[الدخان ٢٩] .

أطوار الجنين فى أربعين يومًا

ترسخ فى ذهن البعض فى السنوات القليلة الماضية أن زمن أطوار الجنين الأولى (النطفة والعلقة والمضغة) مدته مائة وعشرون يومًا بناء على فهم حديث جمع الخلق الذى رواه الإمام البخارى وغيره، عن عبد الله بن مسعود قال : حدثنا رسول الله ﷺ (وهو الصادق المصدوق) قال : "إن أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يومًا ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكًا يؤمر بأربع كلمات ويقال له : اكتب عمله ورزقه وشقى أم سعيد ثم ينفخ فيه الروح" .

و بما أن الحديث قد أشار إلى أن نفخ الروح فى الجنين يحدث بعد انتهاء زمن طور المضغة أى بعد نهاية الأربعين الثالثة (حسب هذا الفهم) فعليه أفتى بعض علمائنا بجواز إجهاض الجنين خلال الشهور الأربعة الأولى من عمره بلا ضرورة ملحة لاعتبارهم أن حياته فى هذه الفترة لم تنفخ فيها الروح الإنسانية بعد .

ولكن مع اختراع الأجهزة العلمية الدقيقة فى الآونة الأخيرة ، تغيرت الكثير من المفاهيم التى كانت سائدة من قبل والمتعلقة بعلم الأجنة وأصبح هذا المفهوم لزمن أطوار الجنين الأولى يقينًا يتعارض مع الحقائق العلمية المعتمدة فى علم الأجنة الحديث مما جعل بعض المحاربين للإسلام يشككون فى السنة المحمدية، والعياذ بالله .

وعليه قام فريق من الباحثين الإسلاميين فى هيئة الإعجاز العلمى وعلى رأسهم فضيلة الشيخ عبد المجيد الزندانى بإعداد بحث لبيان الحقيقة فى هذه القضية وقد تم نشره فى مجلة الإعجاز العلمى الصادرة

عن الهيئة فى عددها الثامن بقلم د. عبد الجواد الصاوى.

وقد اعتمد البحث فى منهجه على ثلاثة محاور :

١ – الدراسة الموضوعية لجميع نصوص القرآن والسنة الواردة فى هذا الموضوع .

٢ – وصف أطوار الجنين من خلال فهم الدلالات اللغوية وأقوال المفسرين للألفاظ والآيات القرآنية ثم للحقائق العلمية فى علم الأجنة البشرية .

٣ – نفخ الروح فى الجنين يجب أن يخضع فهمه أساسًا للنصوص الشرعية .

و قد أثبت البحث أن الوصف القرآنى لأطوار الجنين الأولى وشرح المفسرين لها والتحديد الزمنى الدقيق لها فى السنة النبوية المطهرة تتوافق والحقائق العلمية فى علم الأجنة الحديث ، وأن الأطوار الثلاثة الأولى (النطفة والعلقة والمضغة) كلها تقع فى أربعين يومًا واحدة فقط !

ولتوضيح ذلك ، ولشدة أهمية هذا البحث ، حرصت على تلخيص ما تم نشره بالمجلة بدقة بالغة ولكن بأسلوب سلس يسهل على القارئ غير المتخصص فهمه .

فلنتحدث أولاً عن الوصف القرآني الكريم لهذه الأطوار :

قال تعالي في سورة المؤمنون : **﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾** صدق الله العظيم .

وسوف نتحدث بإيجاز عن كل طور من الأطوار الجنينية حسب ترتيب خلقه كما ورد في القرآن الكريم :

(أ) طور النطفة

النطفة هي الماء القليل ولو قطرة وهي تطلق على مني الرجل ومني المرأة، وفي الحديث : "من كل يخلق من نطفة الرجل ونطفة المرأة" (رواه مسلم) . وقد سماها المولى عز وجل نطفة أمشاجًا، قال تعالى في سورة الإنسان : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ . وقد عرف المفسرون النطفة الأمشاج بأنها النطفة المختلطة التي امتزج واختلط فيها ماء الرجل بماء المرأة وتعرف في العلم بالبويضة الملقحة بتطوراتها العديدة (الزيجوت) وينتهي هذا الطور بتعلق الزيجوت ببطانة الرحم في نهاية الأسبوع الأول من التلقيح ومن ثم يتحول إلى طور جديد وهو طور العلقة .

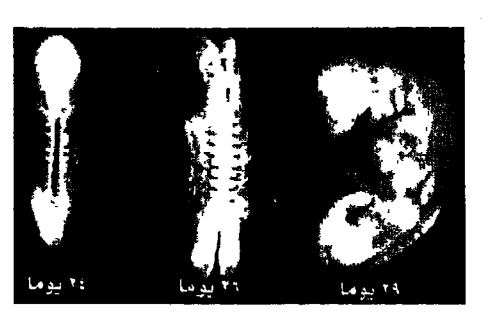
(ب) طور العلقة

كلمة علقة مشتقة من علق وهو التعلق بالشيء والالتصاق به كما يطلق على الدم الجامد وهذا يتوافق مع شكل الجنين في هذا الطور حيث تتكون لديه الأوعية الدموية المقفلة والممتلئة بالدماء ، والعلقة هي دودة تعيش في البرك، تلتصق بالحيوانات وتمتص دماءها . والجنين يظهر خلال الأسبوع الثالث له كنقطة دم حمراء جامدة تأخذ شكل الدودة التي تمتص الدماء وتعيش في الماء ويتشابه الجنين معها في قوة تعلقه بجدار الرحم وحصوله على غذائه من امتصاصه للدم فسبحان الله في وصفه القرآني الدقيق . مدة هذا الطور من بداية الأسبوع الثاني من التلقيح حتى نهاية الأسبوع الثالث من التلقيح .

(ج) طور المضغة

يبدأ القلب في النبض وينتقل الجنين إلى طور المضغة في بداية الأسبوع الرابع وبالتحديد في اليوم الثاني والعشرين .

قال المفسرون المضغة هى قطعة اللحم قدر ما يمضغ الماضغ وهذا ما يتوافق مع الجنين فى أول هذا الطور حيث يتراوح حجمه من حجم حبة القمح إلى حجم حبة الفول وهو القدر الذى يمكن مضغه ويبدو سطحه من الخارج وقد ظهرت عليه النتوءات أو الكتل البدنية بحيث يبدو وكأنه شيء لاكته الأسنان تمامًا لكن لا شكل فيه ولا تخطيط يجعله يدل على أنه جنين إنسانى، لكن الجنين يظل يتحول ويتغير من ساعة إلى أخرى حيث تظهر عليه فى النصف الثانى من هذا الطور براعم اليدين والرجلين والرأس والصدر والبطن كما تتكون معظم براعم أعضائه الداخلية ومع احتفاظه بالشكل الخارجى المشابه لمادة ممضوغة يصدق عليه أنه مخلق وغير مخلق قال تعالى : ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [سورة الحج : ٥] . وهذا النص دلالة على أن التخليق يبدأ فى هذا الطور وهو ما أكدته حقائق علم الأجنة فى أن التخليق يبدأ من أول الأسبوع الرابع وينتهى قبيل الأسبوع السادس ، وعليه يكون اكتمال جميع الأطوار الثلاثة الأولى فى الأربعين يومًا الأولى من عمر الجنين ، ثم يبدأ تكون العظام حيث يتخلق الهيكل العظمى الغضروفى ثم تتميز الرأس من الجذع وتظهر الأطراف ثم تكسى العظام بالعضلات فى نهاية الأسبوع السابع ، وخلال الأسبوع الثامن تنتهى مرحلة التخليق حيث تكون جميع الأجهزة الخارجية والداخلية قد تشكلت ولكن فى صورة مصغرة ودقيقة، ثم يبدأ الجنين بعد الأسبوع الثامن مرحلة أخرى يسميها علماء الأجنة بالمرحلة الحميلية ويسميها القرآن مرحلة النشأة خلقًا آخر ولذلك يعتبر طور كساء العظام باللحم هو الحد الفاصل



بين المرحلة الجنينية والحميلية ..

ثم تبدأ مرحلة النشأة فى الأسبوع التاسع وحتى نهاية الحمل حيث يكتسب الجنين شكله وصورته الشخصية ويصبح ذا سمع وبصر وإدراك وحركة واضطراب .

عودة للنصوص النبوية الشريفة:

فبعد البحث العلمى الدقيق للعلماء الأفاضل فى نصوص السنة الواردة فى هذا الموضوع ، تم تحديد روايتين صحيحتين فى هذا الموضوع للإمام مسلم ، هما :

١- روى الإمام مسلم بسنده عن حذيفة بن أسيد أن رسول الله ﷺ قال : "إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة ، بعث الله إليها ملكًا ، فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ، ثم قال يا رب أذكر أم أنثى ؟ فيقضى ربك ما شاء ويكتب الملك" رواه مسلم .

٢- روى الإمام مسلم بسنده عن عبدالله ابن مسعود قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال : "إن أحدكم ليجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يومًا ، ثم يكون فى ذلك علقة مثل ذلك ، ثم يكون فى ذلك مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد" . (رواه مسلم).

وجمع الشيء هو ضمه بعضه إلى بعض بعد الانتشار فما هو هذا الشيء ؟ فالعبارة النبوية هنا غاية فى الدقة العلمية ، حيث أشارت إلى انقسام الخلايا الجنينية السريع والهائل وفى اتجاهات متفرقة وعلى تمايز هذه الخلايا فى طور العلقة ثم تجمع خلايا كل عضو من أعضاء الجنين ليتم تكونه

وتخلقه فى طور المضغة فى صورة براعم أولية ، ولا تنتهى الأربعون يومًا الأولى إلا وخلايا جميع أعضاء الجنين المختلفة قد تمايزت . أما لفظ "في ذلك" فيعود إلى الوقت أى إلى الأربعين يومًا أى فى نفس الأربعين يومًا الأولى من خلق الجنين ، أما لفظ "مثل ذلك" فيعود إلى جمع الخلق .

وبذلك يكون قد اتضح بالأدلة الشرعية والحقائق القطعية بأن القول بأربعين لكل طور من أطوار النطفة والعلقة والمضغة قول غير صحيح للأدلة التالية :

١- روى حديث ابن مسعود السابق كل من الإمامين البخارى ومسلم . ولكن رواية مسلم تزيد لفظ "في ذلك" في موضعين قبل لفظ "علقة" وقبل لفظ "مضغة" وهى زيادة صحيحة تعتبر من أصل المتن جمعًا بين الروايات وعلى هذا تكون الرواية التامة لألفاظ الحديث كما هى ثابتة فى لفظ مسلم .

٢- ذكر القرآن أن العظام تتكون بعد طور المضغة وحدد الرسول ﷺ فى حديث حذيفة أن بدء تخلق العظام يكون بعد الليلة الثانية والأربعين من بدء تكون النطفة الأمشاج وبالتالى فالقول بأن العظام يبدأ تخليقها بعد مائة وعشرين يومًا يتعارض وظاهر الحديث الذى رواه حذيفة كما يتعارض مع الحقائق المثبتة فى علم الأجنة الحديث مما يؤيد المعنى الواضح لحديث حذيفة .

٣- التعارض مع الوصف القرآنى لأطوار الجنين فالجنين فى اليوم العشرين أو الثلاثين لا يمكن وصفه كقطرة الماء .

ولكن متى تنفخ الروح ؟

اتفق علماء المسلمين على أن الروح تنفخ فى الجنين بعد اكتمال طور المضغة بناء على النص النبوى فى الحديث الذى رواه حذيفة أى بعد الأربعين يوما الأولى ؛ ولكن متى يحدث ذلك بالضبط هذا فى علم الغيب الذى لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى .

زهرة النار

لا أدرى لماذا أتذكرها كثيراً .. أتذكر تلك الزهرة التى تتفتح وسط النيران والتى سريعاً ما تنمو بعد حرائق الغابات .. أتذكر أول مرة سمعت عنها وشاهدتها فى البرنامج الشهير «العلم والإيمان» للدكتور مصطفى محمود ؛ وأتذكر حين قال إنها لا تتفتح إلا بعد الحرائق .. وحينها يجول بخاطرى من هم ليسوا فى غنى عن النار.. فهم إن لم يحدثوا حريقاً لا يستطيعون العيش !

و فى الجانب المضىء أرى زهرة جميلة تنبت من بين الخراب والدمار.. فيبعث ذلك فى نفسى الأمل من جديد ؛ وأقول سبحان الله.. قادر على كل شىء .

و أعود بالذاكرة .. عندما كنت طالبة بكلية العلوم ؛ وكنت أرى تحت المجهر تراص الخلايا بجانب بعضها البعض تماماً كما تتراص قطع الحجارة لتشكل مبنىً قوياً.. وأتأمل .. وأرى تشابهاً كبيراً بين أشياء ربما تكون بعيدة كل البعد فى تكوينها ولكنها تتشابه فى الصفات وتؤدى نفس الوظيفة .. وحينها أقول : سبحان الخالق الواحد الأحد .. لا إله إلا الله

تم بحمد الله يوم الإثنين
١٨ ذو القعدة ١٤٢٣
٢٠ ينـاير ٢٠٠٣

المراجع

(١) **كتاب الجينوم والخريطة الوراثية** / د . عبد الباسط الجمل - دار الفضيلة - ٢٠٠٢ .

(٢) **صحيح الأحاديث القدسية** / أبو عبد الرحمن عصام الدين الصبابطي - دار الحديث - ١٩٩١ .

(٣) **شرح الأسماء الحسنى** / للشيخين حافظ حكمي وعبد الرحمن السعدى .

(٤) **صور من تسبيح الكائنات لله** / د. زغلول النجار - نهضة مصر - ٢٠٠١ .

(٥) **رياض الصالحين** / للإمام النووى - دار الحديث- ١٩٩١.

(٦) **الحياة والموت** / للشيخ الشعراوى - أخبار اليوم ١٩٩١ .

(٧) **أسماء الله الحسنى** / للشيخ محمد متولى الشعراوى - أخبار اليوم ١٩٩١ .

(٨) موقع islamonline.net- **الجسد يبلى ما عدا عجب الذنب** - بقلم/ الدكتور زغلول النجا ر .

(٩) **كتاب الروح** / لابن قيم الجوزية - دار المدنى ١٩٩١ .

(١٠) **أسماء الله الحسنى** / للدكتور طارق السويدان .

(١١) **الموت المقدر** / بقلم د. مجاهد أبو المجد - مجلة الإعجاز العلمى العدد العاشر- رابطة العالم الإسلامى .

(١٢) **الدعاء المستجاب من الحديث والكتاب** / أحمد عبد الجواد - شركة مكة .

(١٣) **خلايا الدم الحمراء** / بقلم د. عبد الرحمن النمر - مجلة الإعجاز العلمى العدد الحادى عشر - رابطة العالم الإسلامى .

(١٤) **من آيات الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم** / د . زغلول النجار ، تقديم : أحمد فراج - مكتبة الشروق ٢٠٠٢ .

(١٥) **برنامج القرآن الكريم لشركة صخر** - الإصدار السابع .

(١٦) **آيات قرآنية فى مشكاة العلم** / د . يحيى الحجرى - موقع : tas-abeeh.com .

(١٧) **السيرة النبوية لفضيلة الشيخ** / الشعراوى - المكتبة العصرية ٢٠٠٢ .

(١٨) **أسماء الله الحسنى** للشيخ / محمد راتب النابلسى .

(٩١) **قصص الأنبياء** / حسين عبد الحميد نيل - دار اليقين ٢٠٠١ .

(٢٠) **إعجاز القرآن** للدكتور/ طارق السويدان- قرطبة للإنتاج الفنى .

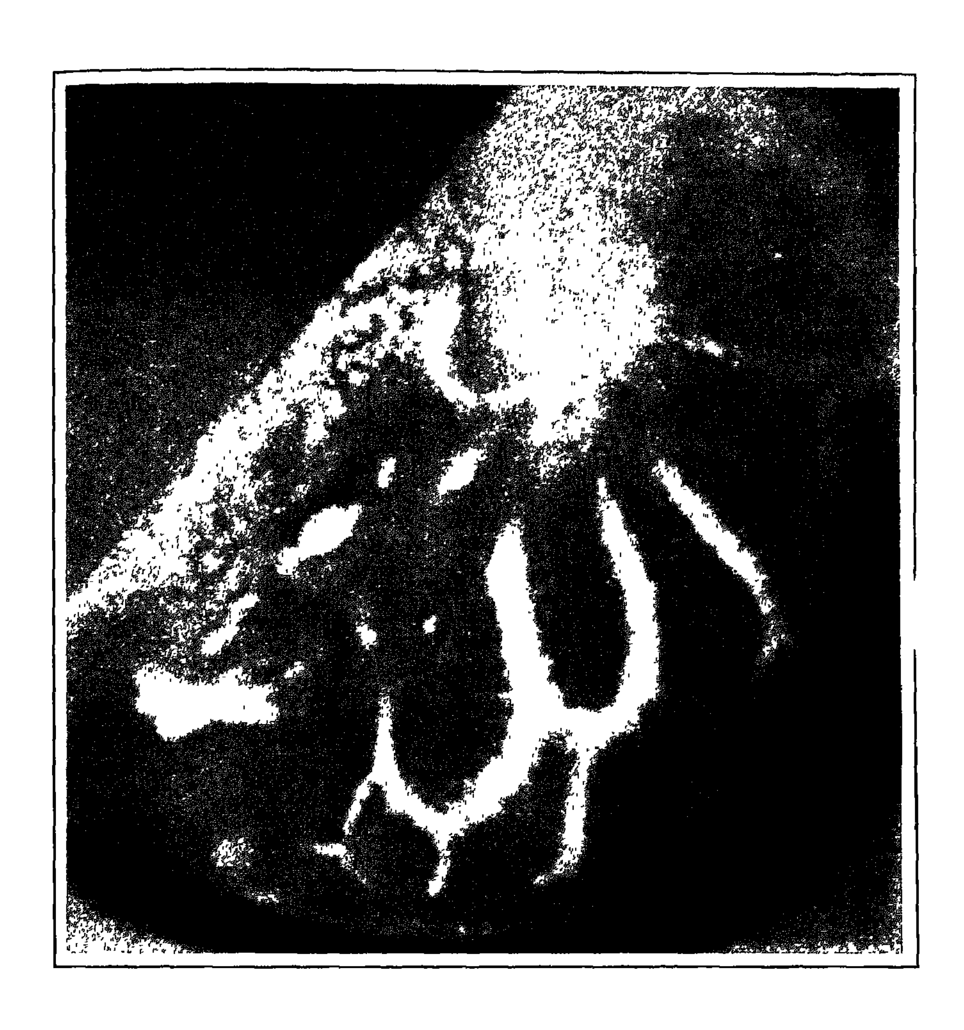
(٢١) **الأخفى والسلوك** / بقلم د . ميسرة طاهر - مجلة الإعجاز العلمى العدد التاسع - رابطة العالم الإسلامى .

(٢٢) **مجموعة محاضرات** الدكتور زغلول النجار.

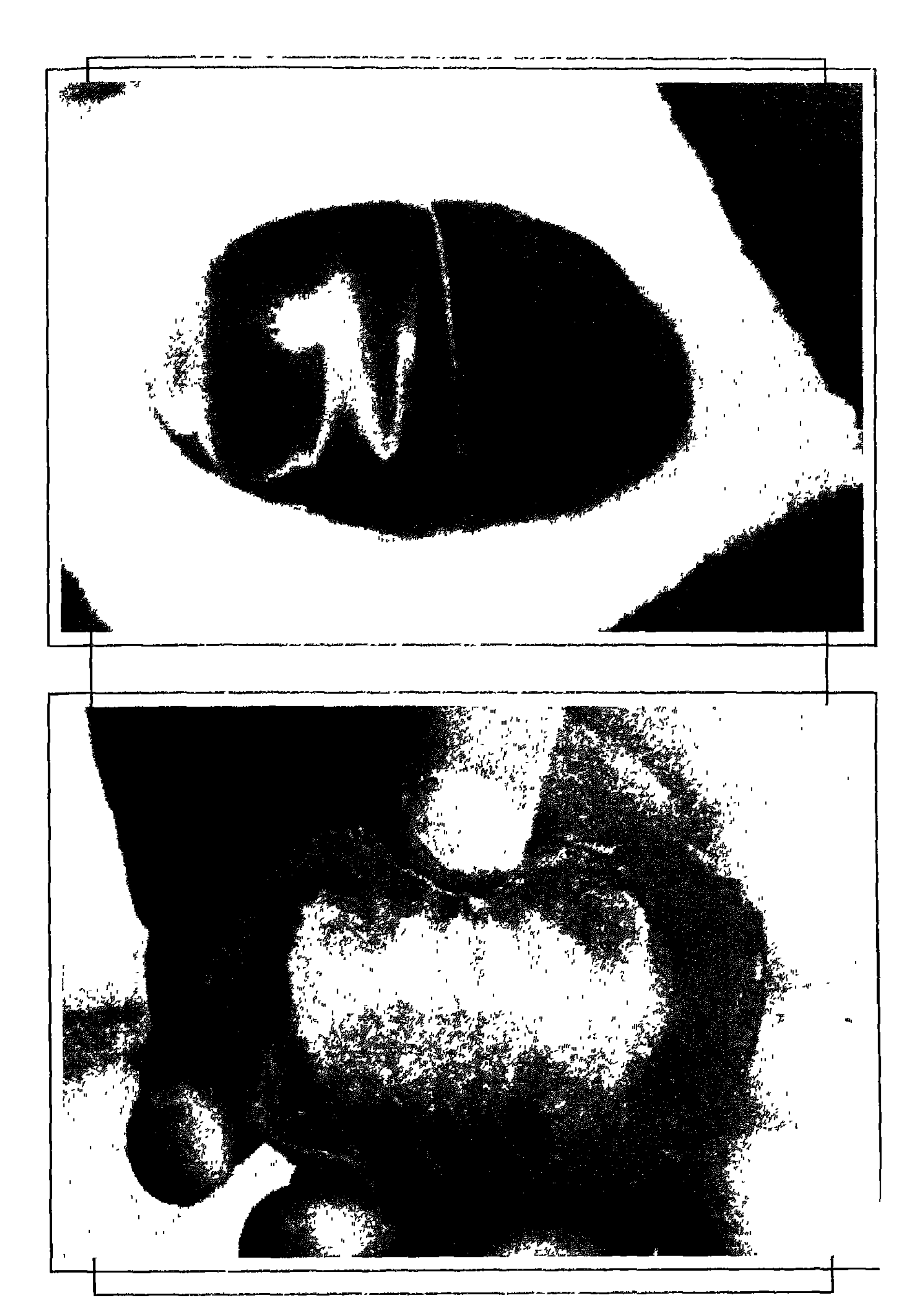
(٢٣) **الشيخوخة .. تنكيس فى الخلق** / د . محمد دودح - مجلة الإعجاز العلمى العدد الثاني عشر .

(٢٤) **القضاء والقدر**/ للشيخ محمد متولى الشعراوى ـ أخبار اليوم، ١٩٩٨ .



















الفهرس

من قائمة الإصدارات

العنوان	المؤلف
هل فى القرآن أعجمى ؟	د. على فهمى خشيم
نظرة الغرب إلى الإسلام	ترجمة : د. على فهمى خشيم
تطور العقائد	ترجمة . د. محمد محمد حسانين
قادة الفكر العربى (عصر الليبرالية العربية ١٩٠٠-١٩٥٢)	صلاح زكى
أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث	صلاح زكى
الإسلام والغرب الأمريكى بين حتمية الصدام وإمكانية المواجهة	محمد إبراهيم مبروك
عبد الرحمن بدوى فيلسوف الوجودية الهارب للإسلام	د. سعيد اللاوندى
الماسونية	خليل إبراهيم حسونة
الحركات الهدامة	خليل إبراهيم حسونة
التطرف الديني ومستقبل التغيير في مصر	عبد الخالق فاروق
النبى الخاتم : هل وُجد ؟ ومن يكون ؟	د. جمال الحسينى أبو فرحة
إشكالية ترجمة معانى القرآن الكريم	د. سعيد اللاوندى
الكون يشهد لله بصفاته	هالة أحمد فؤاد
الهندسة الوراثية فى القرآن أسرار الخلق والروح والبعث	هشام كمال
الحركة الإسلامية في مصر	صالح الورداني
الكلمة والسيف "محنة الرأى فى تاريخ المسلمين"	صالح الورداني
عبود الزمر .. حوارات ووثائق	أحمد رجب
عيسى المسيح والتوحيد	ترجمة : عادل حامد
الحكومة والسياسة في الإسلام	ترجمة : سيد حسان
الوجيز في بداية التكوين	عبد العزيز محمد ، مصطفى الحولي
رسالة التوحيد للإمام محمد عبده	تحقيق د. محمد عمارة
الإسلام والعروبة	مجدي رياض
علمني يا أبي (حوار حول رسالة الصلاة)	حسن سليمان
قيثارة السماء "الشيخ محمد رفعت"	محمود توفيق
حروب المشايخ	أحمد الدسوقي
المساجد الألفية في الإسلام	د. أحمد الصاوي
معالم في تاريخ حضارة آسيا الوسطى	د. أحمد الصاوي
كشف المستور من قبائح ولاة الأمور	د. أحمد الصاوي
رمضان .. زمان	د. أحمد الصاوي
النقود المتداولة في مصر العثمانية	د. أحمد الصاوي
النقود الإسلامية في مصر	د. رأفت النبراوي







يقول الشيخ الغزالى رحمه الله : لا سبيل إلى معرفة الله عن طريق التأمل فى ذاته؛ فإن الوسائل معدومة، وإنما طريق التعرف على الله تعالى يبدأ من التأمل فى خلقه، وعن طريق التفكير السليم فى الحياة والأحياء، وباستخلاص المعارف القيمة الخارجة من الأرض أو النازلة من السماء، (فَانْظُرْ إلى آثارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِى الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إنَّ ذَلِكَ لمُحْيِى المَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ)

فالعبودية لله عز وجل تقتضى توحيده جل وعلا، ولا يتحقق التوحيد إلا بتمام معرفته سبحانه.

ومعرفة الله تعالى تتأتى من دوام النظر والتأمل فى بديع صنعه سبحانه فى ملكوته؛ فملكوت الله يشهد بصفات خالقه عز وجل

أى أننا نرى صفات الله سبحانه فى كونه فهو الواحد الأحد بديع السماوات والأرض رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما مدبر الأمر كله المحيى المميت الحى القيوم.. هو القريب سميع الدعاء.. البصير.

هو الله... نقول: الله. أمام كل جميل وجليل... ولذلك أدعوكم لتأمل هذه الصور الحقيقية، ولا شىء يمكن أن يقال سوى: سبحان الله!

فتذكر أيها الإنسان دائماً أول آية أنزلت فى كتاب الله (اقرأ باسم ربك)... واقرأ آيات الله فى كونه... اقرأ وتأمل.. اقرأ مستعيناً بربك الذى خلق.. اقرأ وأخلص النية لله، لترى ما لا يراه غيرك!

